سيرة المسيح الموعود عليه السلام

سوانح مختصرة لحياة مؤسّس الجماعة الاسلاميّة الأحمديّة

بقلم

مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

سيرة المسيح الموعود عليه السلام

(سوانح مختصرة لحياة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية)

بقلم

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: محمد طاهر نديم

Sīratul-Masīḥil-Ma‘ūd ‘Alaihis-Salām
The Life of the Promised Messiah (on whom be peace)

اسم الكتاب: سيرة المسيح الموعود عليه السلام

الطبعة الأولى: ١٤٣٦هـ الموافق لـ ٢٠١٥م

By

Ḥaḍrat Mirza Bashir-ud-Din Mahmud Ahmad
Khalīfatul-Masīḥ II

Translated from Urdu by: Muhammad Tahir Nadeem

First Arabic translation published in the UK in 2015

Published by:
Islam International Publications Ltd.
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey, GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Tilford

For further information please contact:
Phone: +44 1252 784970
Fax: +44 1252 781692
www.islamahmadiyya.net

Cover designed by: Anan Massoud Odeh

ISBN: 978-1-84880-449-4

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

❁❁❁❁❁

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

كان طبيعيًا تنبّه الناس إلى معرفة أحدث سيرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بعد رؤيتهم لازدهار الجماعة وانتشارها في أكناف العالم. ونظرًا إلى هذه الحاجة الملحة وإلى صعوبة اطّلاع الناس على الكتب المفصلة المسهبة في المرحلة الأولى ألف سيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد كتيبًا مختصرًا حول سيرة المسيح الموعود عليه السلام في نوفمبر عام ١٩١٦، وضمّنه سوانح المسيح الموعود عليه السلام وسيرته ودعواه وأدلتها، والمشاكل التي اعترضت سبيله، كما ذكر بعض نبوءاته عليه السلام.

لا شك أنها سيرة مختصرة جدًّا إلا أن حضرته ألفها بأسلوب سلس ومتسلسل بحيث يمكن القول بأنها كتبت بشكل مركز ومختصر معًا.

كان هدف المصلح الموعود رضي الله عنه من تأليفها إعطاء نبذة عن حياة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية للباحثين عن الحق وللمبايعين الجدد أيضا حتى يأخذوا منها فكرة أولية ثم يبحثوا في سيرة حياة

المسيح الموعود عليه السلام ودعوته وأدلة صدقه من خلال الكتب الأخرى الأكثر تفصيلا.

وها نحن نقدّم بعد قرابة مئة سنة الترجمةَ العربية لهذا الكتيب للمبايعين الجدد من الإخوة العرب، راجين من المولى أن يجعله سببا لهداية كثير من عباده رحمةً منه وفضلاً، آمين.

ولا يسعنا أخيرا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الترجمة، وهم الأساتذه الأفاضل: فتحي عبد السلام، تميم أبو دقة، هاني طاهر، خالد عزام، د. علي البراقي، د. وسام البراقي، سامح مصطفى، هاني الزهيري، نشوان معجب، نور الهدى غانم، بشرى ناصر عودة وعبد المؤمن طاهر، فجزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

الناشر

مقدمة المؤلف

يخطر ببال الكثيرين الذين يجهلون أحوال الجماعة الإسلامية الأحمدية الاطلاع عليها نظرًا إلى ازدهار الجماعة اليومي وتيار انتشارها في أكناف العالم، ولكن لا يسعهم الاطلاع على الكتب المفصلة، لذلك أردت تأليف كتيب يحوي باختصار أحوال هذه الجماعة ومؤسسها ليكون مرشدًا بفضل الله تعالى لطلاب الحق ودافعًا لهم إلى مزيد من البحث، وليمهّد الطريق للداخلين في ملكوت الله.

سألقي في هذا الكتيب المختصر الضوء على النقاط التالية:

- **أحوال عائلة سيدنا أحمد عليه السلام مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية**
- **سيرته**
- **دعواه وأدلة صدقه**
- **صعوبات اعترضت سبيله**
- **نبوءاته**
- **مهمته**
- **وبعده أحوال الجماعة التي أقامها**

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

سيرة حياة أحمد القادياني عليه السلام

وأحوال عائلته

اسم مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية هو غلام أحمد، وكان من سكان قاديان التي تبعد ١١ ميلا من محطة القطار في بطاله و٢٤ ميلا من مدينة أمرتسر وقرابة ٥٧ ميلا من لاهور ناحيةَ الشرق. وُلد عليه السلام في هذه البلدة يوم الجمعة من سنة ١٨٣٦ أو ١٨٣٧ لمرزا غلام مرتضى[١]. وكان قد ولد توءمًا إذْ وُلدتْ معه بنتٌ توفيتْ بعد مدة يسيرة.

وقبل أن أذكر بعض أحداث سيرته أرى ضروريًا ذكر أحوال عائلته باختصار.

---

[1] وفق البحث الذي أجراه الصاحبزاده مرزا بشير أحمد م.أ. ولد حضرته عليه السلام في ١٣/٢/١٨٣٥م. (من المؤلف)

كانت عائلته تحظى باحترام كبير في منطقتها. تصل سلسلة نسبها إلى شخص يُدعى "برلاس" وكان عمًّا للأمير تيمور، فلما سيطر الأمير تيمور على منطقة "كُش" – التي كان يحكمها – هاجرت عائلة برلاس إلى خراسان واستوطنتها وظلت هناك لمدة طويلة. وفي أواخر القرن العاشر للهجرة أو القرن السادس عشر الميلادي ترك أحد أفراد هذه العائلة – وهو مرزا هادي بيك – هذه البلادَ لأسباب مجهولة ووصل إلى الهند مع قرابة ٢٠٠ شخص، وأقاموا في المنطقة القريبة من نهر "بياس" وأسسوا قريةً على بُعد ٩ أميال من هذا النهر وسمّوها "إسلام بور" (أي مدينة الإسلام). ولأنه كان شخصًا حاذقًا وحكيمًا فسرعان ما عُيِّن قاضيًا من قِبل حكومة دلهي. ونظرًا إلى منصبه هذا عُرفت قريته بــ"إسلام بور قاضي" بدلا من "إسلام بور"، أي قرية إسلام بور التي هي مقام القاضي. ثم أخذ هذا الاسم يتغير حتى أُسقِطَ منه "إسلام بور" ولم يبق إلا لفظ "قاضي" ثم تغير ذلك بطبيعة النطق في اللغة البنجابية إلى "قادي" ومنها تحول إلى "قاديان".

إذن فقدْ قدِم مرزا هادي بيك من خراسان وأنشأ قرب نهر "بياس" قريةً أقام فيها وعائلته. ورغم بُعدهم عن "دلهي" عاصمة

الحكومة الهندية، فقد أصبح أبناء هذه العائلة يتولون مناصب رفيعة في الحكومات المغولية. وصارت هذه العائلة حاكمةً على منطقة تُقَدَّر مساحتُها بـــ ٦٠ ميلاً مربّعًا حول قاديان حتّ أيام ضعف الحكومة المغولية وانتشار الفوضى في البنجاب، ولكن السيخ حاربوا هذه العائلة بالتواطؤ مع سيخِ منطقة "رام غره" ومع بعض العائلات الأخرى. وعلى الرغم من تصدّي جدّ والدِ مرزا غلام أحمد لهجمات الأعداء أخذت دويلته هذه تضعف وتضعف حتى لم يبق منها تحت سيطرته سوى قاديان التي كانت تتميز بسورٍ يحيط بها كالقلعة، وفي النهاية تواطأ بعض سكان هذه القرية مع السيخ فتمكنوا من السيطرة عليها؛ فَأُسِر رجالُ هذه الأسرة ونساؤها، وبعد أيام قليلة سَمَحَ لهم السيخ بالهجرة من هذه المنطقة فتوجهوا إلى ولاية "كفورثَلّة" التي سكنوا فيها نحو ١٦ عامًا. ثم جاء زمن الـــمَهَراجا رنجيت سنغ الذي حكَم على جميع الراجاوات الصغار[٢] وفي زمن هذا المهراجا رُدّ إلى والدِ مرزا غلام أحمد جزءٌ لا بأس به من عقاراته، كما حصل هو وجميع إخوته على وظيفة في جيش المهراجا. ثم لما قضت الحكومة الإنجليزية على حكومة السيخ

[2] أي رؤساء الدويلات. (المترجم)

سيطرتْ على جميع عقارات هذه العائلة ما عدا أراضي قاديان التي أُعطي حق ملكيتها لهذه العائلة.

ذكر عائلته في كتب التاريخ

بعد ذكر هذه الأحوال باختصار، نرى من المناسب إيراد اقتباس يتعلق بعائلة "مرزا"[٣] من تأليف: "سير ليبل غريفن" المسمّى بـــ Punjab Chiefs أي "أمراء البنجاب":

"في السنة الأخيرة من عهد الملك المغولي "بابر" أي في عام ١٥٣٠م قدِم إلى البنجاب أحد المغول، وهو هادي بيك، مهاجرا من سمرقند واستوطن في محافظة غورداسبور. كان هذا الشخص مثقفًا ومتعلمًا نوعا ما[٤]، وعُيِّن قاضيا على ٧٠ محلة حول قاديان. ويقال عنه إنه أسس قرية قاديان، وسماها إسلام بور قاضي، ذلك الاسم الذي أخذ يتغير ويتغير حتى صار قاديان[٥]. وقد ظلت هذه

---

[3] حيث إن اسم العائلة في الهند يقدم على الاسم، فمرزا هو اسم عائلة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. (المترجم)

[4] كان في الحقيقة رجلا حصيفًا ذا علم وفهم وكان من عباد الله المؤمنين. (الناشر)

[5] البنجابيون يلفظون الضاد دالا، لذلك تغير اسم "إسلام بور قاضيان" إلى قاديان وتلاشى منه إسلام بور من كثرة الاستخدام. (الناشر)

العائلة تتبوَّء مناصب رفيعة إلى أحقاب طويلة في عهد الحكومة المغولية، ولكنها في عهد ازدهار السيخ تعرضت لإفلاس كبير. فما برِح مرزا غُل محمد وابنه مرزا عطا محمد يحاربان ضد فصيلَين من السيخ، هما "رام غرهيا" و"كنهيا مسل" اللذَين كانا مسيطرين على المناطق المجاورة لقاديان، حتى انتهى بـــ "عطا محمد" المطافُ إلى فقدان كل عقاراته، فسكن في جِوار "سردار فتح سنغ أهلوواليه[6]" في منطقة "بيغووال" وعاش هناك ١٢ عاما متمتعًا بالأمن والأمان. وبعد وفاته دعا الـــمهراجا رنجيت سنغ — الذي سيطر على جميع عقارات فصيلي السيخ "رام غرهيا ومسل" - مرزا غلام مرتضى إلى قاديان وأرجع له جزءًا كبيرًا من عقارات أجداده. توظف مرزا غلام مرتضى وجميع إخوته في جيش الـــمهراجا رنجيت سنغ وقدَّموا خدمات جليلة على حدود كشمير وفي أماكن أخرى كثيرة. وقد ظلّ مرزا غلام مرتضى يقدم خدماته العسكرية في عهد "نونهال سنغ " و"شير سنغ" وفي عصر حُكمِ قَصْرِ لاهور أيضا. ولقد عُيّن مرزا غلام مرتضى قائدًا لكتيبةٍ في الجيش في عام ١٨٤٣ وأُرسل إلى

6 رام غرهيا وكنهيا مسل وأهلوواليه، كلها أسماء لفصائل من السيخ. (المترجم)

بيشاور، فأدى خدمات بارزة في أحداث الفوضى التي وقعتْ في منطقة "هزاره"، وظلّ وفيًا لحكومته واشترك من قِبَلها في مكافحة حالة التمرّد التي حدثت في عام ١٨٤٨. وقد أدى أخوه غلام محيي الدين أيضا خدمات مخلصة في هذه الحادثة. وحين خرج "بهاي مهَراج سنغ" بجيشه إلى "ملتان" لمساعدة "ديوان مولراج" قام بحثِّ غلامَ محيي الدين وبعضَ الإقطاعيين الآخرين مثل "لنغر خان ساهيوال" و"صاحب خان توانه" فانضموا إلى جيش "مصر صاحب ديال" وحاربوا المتمردين فهزموهم، ولم يجد المتمردون للفرار طريقًا غير طريق نهر "شناب" حيث مات غرقًا ستمائة منهم.

عند إقامة الدولة الهندية الموحدة أُخِذت من هذه الأسرة جميعُ عقاراتها، إلا أن مرزا غلام مرتضى وإخوته ظلوا يأخذون راتبًا تقاعديًا قدره ٧٠٠ روبية، كما اعتُرف بحقوق هذه العائلة وملكيتها على قاديان وعلى بعضِ القرى المجاورة لها.

لقد قدمت هذه الأسرة خدمات بارزة أثناء أحداث المفسدة عام ١٨٥٧م، حيث أدخل مرزا غلام مرتضى الكثيرين في الجيش، وكان هو وابنه مرزا غلام قادر أيضا في صفوف الجيش في عهد الجنرال "نكلسون" حين قضى على ٤٦ متمردًا من كتيبة المشاة "النيتو"

الذين كانوا قد هربوا من سيالكوت. لقد منح الجنرال "نكلسون" لغلام قادر شهادةً كتب فيها أنّ أسرتَه كانت أكثر أُسَرِ قاديان – بمحافظة غورداسبور– وفاءً للحكومة أثناء أحداث ١٨٥٧م.

توفي مرزا غلام مرتضى – الذي كان أيضًا طبيبًا حاذقًا – في ١٨٧٦، وخلَفه ابنه مرزا غلام قادر الذي كان دائما على أهبة الاستعداد لمساعدة الحكومة المحلية. وقد مُنح شهادات كثيرة من كبار المسؤولين الحكوميين الذين كان بِيَدهم زمام إدارة الأمور، ثم عمِل لفترة قصيرة مشرفًا في مكتب محافظة غورداسبور. وقد توفي ابنه في الصغر، فتبنّى ابنَ أخيه مرزا سلطان أحمد الذي كان يُعدُّ رئيس الأسرة بعد وفاة غلام قادر أي منذ ١٨٨٣.

بدأ مرزا سلطان أحمد العملَ في الوظيفة الحكومية بمنصب نائب رئيس المديرية، وهو يعمل الآن نائبًا إضافيًا للمفوّض، كما أنه المختار لبلدة قاديان أيضا...

كان إمام الدين – وهو من الأسرة – قائد المئة في كتيبة "هادشن هورس" عند محاصرة دلهي، وهو أخو نظام الدين، وتوفي في ١٩٠٤. وكان أبوه غلام محيي الدين يشغل منصبَ رئيس المديرية.

ومن الجدير بالذكر هنا أن مرزا غلام أحمد الذي كان الابن الأصغر لغلام مرتضى أصبح مؤسّسا لفرقة مسلمة شهيرة تُسمى الأحمدية. لقد وُلد هذا الشخص في عام ١٨٣٧م وتلقى تعليمًا جيدًا. وأعلن في عام ١٨٩١ أنه المهدي والمسيح المنتظر في الديانة الإسلامية. ولأنه كان عالـــمًا جليلا ودارسًا لعِلم المنطق أيضا، فقد اجتمع حوله الناس بكثرة بين ليلة وضحاها. وقد بلغ عدد أبناء هذه الفرقة الأحمدية في البنجاب وفي المناطق الأخرى من الهند قرابة ثلاثمائة ألف نسمة. أَلَّفَ مرزا غلام أحمد الكثير من الكتب باللغة العربية والفارسية والأردية، وردّ فيها على قضية الجهاد الشائعة، ويُظَنّ أن كتبه قد تركت أثرًا جيدًا في المسلمين. ظلّ مرزا غلام أحمد يتعرض لمشاكل كثيرة لأنه كان يباحث ويناظر معارضي طريقته ويتابع بعض القضايا المرفوعة ضده من قِبلهم. ولكنه كان قد تَبَوَّءَ مكانة محترمة قبل وفاته في عام ١٩٠٨، حتى أن معارضي أفكاره أيضا قد باتوا يقدّرونه. إن مركز هذه الفرقة هو قاديان، حيث فتَحَتْ مؤسسةُ الأنجمن الأحمدية مدرسةً كبيرة، كما أن لها مطبعةً أيضا تُنشر بواسطتها أخبار هذه الفرقة وإعلاناتها. إن خليفة

مرزا غلام أحمد هو الحكيم المولوي نور الدين وهو ذائع الصيت وكان قد توظّف بضع سنوات لدى الـــمهراجا في كشمير.

ولهذه الأسرة حقوق ملكية تشمل بلدة قاديان كلها، وهي منطقة كبيرة، ولهم إضافة إلى ما سبق حق الملكية على ثلاث قرى مجاورة لقاديان بنسبة خمسةٍ في المائة من ضرائبها." (أمراء البنجاب، الجزء الأول، طبعة ١٩١٩ بلاهور)

ولادة حضرته عليه السلام وفترة الطفولة وذكر والده المحترم

بعد تسجيل أحوال أسرة المرزا المحترم باختصار ننتقل إلى ذكر أحواله عليه السلام.

كما ذُكِر في البداية أنه عليه السلام ولد في ١٨٣٦ أو ١٨٣٧، وهي فترة ازدهار عصر والده الذي كان يحظى باحترام جمٍّ لخدمته سكانَ القرى التي يشرف عليها ولخدمته في جيش الـــمهراجا رنجيت سنغ. ولكن المشيئة الإلهية كانت تقتضي أن يتربى ويترعرع متوجهًا إلى الله تعالى، فقد مات الـــمهراجا رنجيت سنغ بعد ولادة حضرته بثلاث سنوات وزالت الدولة السيخية، مما أدى إلى تعرّض والده أيضا لبعض المشاكل، وفي النهاية حين توحّدتْ البنجاب أُخذ منه

كثيرٌ من عقاراته التي لم يستطع استعادها رغم بذله آلاف الروبيات، فظل يعاني آثار هذه الصدمة حتى آخر أيام حياته. لقد كتب عليه السلام في أحد كتبه:

"وكان والدي بسبب فشله وعدم تحقق آماله يبقى حزينًا ومهمومًا في أغلب الأحيان، كان قد أنفق قرابة سبعين ألف روبية على متابعة القضايا، وكانت الحصيلة الإخفاق والفشل فقط، لأن قرى آبائنا كانت قد نُزعت من أيدينا منذ مدة، وكانت استعادتها أُمنية زائفة، وبسبب فشله هذا كان والدي المرحوم يقضي حياته في دوامة عميقة للهمّ والحزن والاضطراب. أما أنا فباطِّلاعي على هذه الأوضاع وجدت فرصة لإحداث تغيُّر طاهر، لأن الحياة المريرة لوالدي كانت تعلِّمني درسًا في الحياة العفيفة الخالية من الشوائب المادية. وصحيح أن بعض القرى من ملك والدي المحترم كانت لا تزال في قبضته وكان يتلقّى من الحكومة الإنجليزية منحة سنوية أيضًا، كما كان له راتب تقاعدي من أيام الوظيفة الحكومية، إلا أن ذلك كله لم يكن يساوي شيئًا يذكر بالمقارنة مع ما قد تمتع به في السابق، ولذلك كان عُرضة للهمّ والحزن دومًا، وكان يقول لي مرارًا إنه لو بذل من أجل الدين الجهود التي بذلها لكسب الدنيا

الدنية لعُدّ اليوم قطب العصر أو غوثه، وكان كثيرًا ما يردِّد بيتًا من الشعر بالفارسية:

عمر بگذشت نماند است جز ایامے چند
به که در یاد کسے صبح کنم شامے چند

أي: لقد مضى عمري كله و لم يبق منه إلا أيام قليلة، فالأفضل لي أن أقضي بعض لياليها في ذكر أحد (أي الله تعالى).

ورأيته مرّات كثيرة يردّد بكل رقة بيتًا له، وهو:

از درے تو اے کسے ہر بے کسے
نیست امیدم که بروم ناامید

أي: يا من هو سند كل عديم الحيلة، آمل أن لا أعود من عتباتك خالي اليدين.

وأحيانًا كان يردد بقلب ملؤه الألم والحزن، بيتًا له، وهو:

بآب دیده عشاق و خاکپائے کسے
مرادے است که درخون تپد بجائے کسے

أي: أقول قسمًا بدموع العاشقين وبغبار أقدام بعضهم: إن قلبي يتمرّغ في الدماء من أجل أحد (أي الله تعالى).

وفي أواخر أيام حياته كان يغلبه التحسر على أنه سيلقى خالقه خاوي الوفاض، وكثيرا ما كان يقول بأسف شديد بأنه أضاع عمره عبثًا من أجل أمور الدنيا التي لا طائل وراءها."

(كتاب البرية، الخزائن الروحانية، ج١٣، ص ١٨٧-١٨٩ الحاشية)

لوعته وشوقه للعبادة منذ صغره

يظهر من هذه العبارة التي كتبها حضرته عليه السلام عن حالة والده أن الله تعالى قد ربّاه في طفولته وشبابه على نحو لم ينشأ في قلبه حب الدنيا. لا شك أن والده وأخاه الأكبر كانا يُعَدَّان من عِلية القوم وأشرافِهم من الناحية الدنيوية وكان الحكّام أيضا يحترمونهما، ولكنّ جريَهما وراء الدنيا وبذلَهما الحياةَ كلها من أجل الحصول عليها - ثم إخفاقهما في أخذ ما كانا يعُدّانه من حق أسرتهما - كان يكفي لقلبٍ نقي من الشوائب أن يَعِي أن الدنيا متاع قليل والآخرة هي دار القرار. لقد حفظ حضرته عليه السلام هذا الدرس منذ صغره و لم ينسه حتى وفاته. رغم أن الدنيا مثُلت أمام عينيه بِحُلَل ومظاهر شتى وأرادت زعزعة عزيمته وإضلاله عن طريقه إلا أنه لم يلتفت إليها قطّ، وفارقها مفارقةً لا لقاء بعدها.

باختصار، لقد وجد المرزا المحترم في صِغَره نموذجًا مريرًا لعاقبةِ حُبِّ الدنيا، مما أدى إلى أن يفتر عنده حبّها فتورًا كاملا، فصار أكبر همه منذ الصغر أن ينال رضوان الله تعالى. سجّل "شيخ يعقوب علي" الذي ألف وقائع سيرته عليه السلام واقعةً عجيبة تتعلق بأيام طفولته الأولى، فيقول: كان عليه السلام في صغره يقول لفتاةٍ من سنّه وهي التي تزوج منها لاحقًا: ادعِي لي أن يوفقني الله تعالى للمواظبة على الصلاة.

تدل هذه الجملة التي خرجت من فمه في الصغر على ما كان يكنه في قلبه من مشاعر وأمانٍ منذ ذلك العمر الصغير ويبدو منها أن الله تعالى كان محور جميع أمانيه. ولقد نشأ فيه الذكاء والفطنة منذ صغره، ويتضح من هذه الجملة أنه عليه السلام كان يؤمن في ذلك الوقت أن الله تعالى يحقق جميع الأماني وهو يوفق للعبادة؛ فإنّ إبداء هذه الرغبة القلبية في الالتزام بالصلاة ثم الإيمان بأن الله تعالى هو مَن يحقّق مثل هذه الرغبات، وإضافة إلى ذلك صدور هذا القول من شخص يتربى في بيتٍ يرى كباره وصغاره الدنيا ربًّا لهم، لهو قولٌ لا يمكن أن يخرج إلا من قلب نقي من شوائب الدنيا ومؤيَّدٍ من الله تعالى من أجل إحداث تغيير عظيم في العالم.

زمن تلقيه التعليم الابتدائي

كان الزمن الذي ولد فيه عليه السلام زمن الجهل، إذ لم يكن هناك اهتمام خاص بتلقي التعليم. ومن المعروف في زمن حكم السيخ أنه لو استلم أحد رسالةً من صديق أو قريب له فكان يتكبّد عناءً كبيرًا للبحث عن شخص يقرؤها له، وفي كثير من الأحيان تظل الرسالة فترة طويلة دون أن تُقرأ. كان كثير من الرؤساء في تلك الفترة أميّين. ولكن لما كان الله تعالى سيكلفه بمهمة عظيمة، فقد ألقى في قلب والده رغبة في تعليمه، ورغم همومه الدنيوية لم يقصّر في تعليم أولادِه حتى في عصر الجهل ذاك. وحينما كان حضرته لا يزال طفلاً وَظّفَ والدُه لتعليمه شخصًا يُدعى "فضل إلهي"، فدرس على يديه القرآن الكريم وبعض الكتب باللغة الفارسية. ولما بلغ العاشرة من عمره وُظّف له أستاذ آخر يسمى "فضل أحمد". كان هذا الأستاذ شخصًا صالحًا ومتدينًا، وكما كتب حضرته بنفسه أن هذا الأستاذ كان يعلّمه بكل جهد وودّ. درس حضرته على يده بعض كتب الصرف والنحو. وحين بلغ السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره وُظّف لتعليمه "المولوي غُل علي شاه" فدرس على يده بعض كتب المنطق والطب، كما درس بعض كتب الطبّ على يد والده الذي

كان طبيبًا حاذقًا ومحنكًا. والتعليم الذي تلقاه على يد هؤلاء الأساتذة كان يُعدُّ في ذلك العصر تعليمًا عاليًا، إلا أنه لا يساوي شيئًا إزاء المهمة التي كُلّف بإنجازها لاحقًا. ولقد رأينا أن الذين كانوا يدرسون معه - على يد الأساتذة الذين وظّفهم والده لتعليمه- لم يزيدوا على كونهم أصحاب كفاءات عادية وثقافة بسيطة، كما أن هؤلاء الأساتذة الذين وُظّفوا لتعليمه لم يكونوا من العلماء الكبار والجهابذة. كان العلم مفقودًا في ذلك العصر وكل مَن كان يقرأ بضع كتب بالفارسية والعربية يُعدّ عالـــمًا، وعليه فلم يكن أساتذة حضرته على درجة كبيرة من العلوم بحيث يُظَنّ أنهم قاموا بتعليمه ليكون جاهزًا لأداء مهمة كالتي بُعِثَ للقيام بها، لكنه استفاد منهم بحيث أخذ يقرأ الكتب الفارسية والعربية وبدأ يتكلم الفارسية بطلاقة والعربية أقل منها قليلا. ولم يتلق عليه السلام تعليمًا أكثر من ذلك. بل لم يتلق تعليمًا دينيًا على يد أي أستاذ قط، ولكنه كان مشغوفًا بقراءة الكتب والمطالعة، فيظل مشغولا بقراءة الكتب في مكتبة والده لدرجة يضطر والده مرات كثيرة إلى منْعه من ذلك حتى لا تتضرر صحته، بالإضافة إلى أنه كان يريده أن يُعرِض عن هذا الأمر ويساعده في أموره الدنيوية.

ظروف الوظيفة والمباحثات والمناظرات مع المسيحيين

ولما فَرغ ؑ من تلقيه التعليم كان الحُكم قد استتبّ لبريطانيا في البنجاب، وانقضت فترات الفوضى المريرة. وقد أدرك أهل الهند أن التوظّف في دوائر هذه الحكومة الآن صار مدعاةً للكرامة والشرف، وشرَعَ شباب العائلات الشريفة الكثيرة يتوظفون في الدوائر الحكومية. ففي ظل هذه الظروف، وبعد التأكد من أن طبع حضرته لا يميل مطلقا إلى الاهتمام بشؤون الأراضي والعقارات، استشار والدَه فتوجّه إلى سيالكوت بحثًا عن الوظيفة الحكومية، وتوظف في مكتب نائب المفوض، إلا أنه بعد عودته من الوظيفة كان يقضي معظم أوقات فراغِه في المشاغل العلمية من قبيل مطالعة الكتب أو تدريس الآخرين أو الخوض في المناظرات الدينية مع الناس. لقد كان تأثير تقواه وورعه في شبابه أيضا قويًّا جدًّا، فمع أنه كان شابًّا في الثامنة والعشرين من عمره إلا أن المتقدمين في السنّ من المسلمين والهندوس كانوا يجلّونه. كان يحب الخلوة، ويقضي معظم أوقاته في بيته وقلما كان يغادره. كانت البعثات المسيحية حديثة الدخول إلى البنجاب في تلك الأيام، وما

كان المسلمون يعرفون طريقًا صحيحًا للردّ على هجماها ضد الإسلام، فكانوا ينهزمون أمام المسيحين، ولكنهم كلّما ناظروه عليه السلام اضطروا لإطراق جفوهم ورؤوسهم أمامه. ولأجل ذلك كان المنصفون من القساوسة يحترمونه رغم الاختلاف الديني. سجّل مؤلف سيرته عليه السلام ما يلي: كان القس تيلر يعمل في البعثة المسيحية في سيالكوت وقد ناقش حضرته مرارا، ولما حان موعد عودته إلى بريطانيا حرِصَ على زيارة مرزا غلام أحمد في مكتبه ليودعه قبل سفره، سأله نائب المفوض عن سبب مجيئه فردّ قائلا: جئت للقاء مرزا غلام أحمد فقط، ثم توجه إلى مكتب حضرته مباشرة وجلس معه قليلا ثم غادر.

لقد حدث ذلك في أيام كان القساوسة يَعُدّون فيها انتصار الحكومة البريطانية آيةً لنصرِهم، مما أدى إلى تكبرهم لدرجة أنه يظهر من جميع الكتب التي أُلّفتْ ضد الإسلام في تلك الفترة أن القساوسة ظنّوا أن الحكومة البريطانية في أيام قليلة ستنَصّر المسلمين بحد السيف، ولأجل ذلك كانوا لا يتورعون عن استخدام أقسى الكلمات وأشنعها ضد الإسلام ومؤسس الإسلام، وكان قد بلغ استفزازهم درجة اضطر بعض العقلاء من الأوروبيين إلى أن يكتبوا

أنه لو حدثت جراء هذه الكتابات حالة تمرد أخرى كالتي حدثت في ١٨٥٧ فلا عجب. وظلت هذه الحالة قائمة طالما كان القساوسة المسيحيون لا يفهمون أن الهند تحكمها بريطانيا وليس القساوسة، وأن الملكة فيكتوريا تبدي معارضة شديدة لنشر الدين المسيحي بحد السيف ولا ترضى بجرح مشاعر أهل ديانة من الأديان دونما حق. وباختصار، كانت العلاقات المسيحية الإسلامية متوترة في تلك الحقبة. إن المعاملة الأخلاقية الطيبة للقساوسة كانت تقتصر على من يصدّقونهم، أما إذا ردّ عليهم أحد بشيء ثارت ثائرتهم، ولكن لم يستطيع القس تيلر كفّ نفسه عن التأثر بإخلاص مرزا غلام أحمد وتقواه رغم الغيرة العظيمة التي كان يتحلى بها حضرته على دينه، ورغم أنه لم يكن يُهزَم في النقاشات الدينية. ومع أن القس تيلر كان يشعر أن مرزا غلام أحمد ليس "صيده" بل من الممكن أن يصير هو صيدَه، ورغم النفور الطبيعي الذي يكنّه الصيدُ من الصياد، اضطرّ القس إلى أن يعامل مرزا غلام أحمد معاملة مختلفة عن المناظرين الدينيين الآخرين، فجاء للقائه قبيل عودته إلى بلاده ولم يرض بالمغادرة دون مقابلته.

استقالته من الوظيفة ومتابعته القضايا في المحاكم

ظل عليه السلام يشغل وظيفته في سيالكوت أربع سنوات على مضض، فلما كتب إليه والده لترك الوظيفة قدّم استقالته فورًا ورجع، وبدأ وفق أمر والده متابعة قضاياه المتعلقة بأراضيه وعقاراته، ولكن قلبه لم يكن يرتاح لهذا العمل أيضا، إلا أن طاعته لوالديه جعلته يقوم بهذا العمل وإن لم يكن يرتاح له قلبه، فيروي بعض الناس الذين كانوا يرونه في تلك الأيام أنه كان إذا خسر قضيةً ما، ارتاح وعلَتْ وجهَه علائمُ البشاشة حتى كان البعض يظن أنه ربح القضية، إلا أنهم بعد أن يستفسروا منه كانوا يعرفون أنه خسرها، وكان يردّ عليهم معلِّلا ارتياحه بأننا بذلنا ما كان في وسعنا، فلعل المشيئة الإلهية قضتْ بذلك، وارتحتُ لأنني تفرغتُ الآن من متابعة هذه القضية، وسأجد وقتًا أكثر للذكر الإلهي. كانت هذه الفترة عنده فترة من الأخذ والرد، كان والده يريده أن يعمل معه في شؤون رعاية أراضيه أو يتوظف، أما هو فكان كارهًا لكليهما، مما كان يعرّضه للومه. كانت والدته تُرسًا له، فظلّت تدافع عنه ضد هذا النَّقْد واللوم ما دامت على قيد الحياة، ولكن بعد وفاتها صار يتعرض

للوم والده وأخيه في أحيان كثيرة إذ كانا يظنان أحيانًا أن نفورَه من الأعمال والأشغال الدنيوية ناتج عن كسله. وكان والده حينئذ يتحسر ويقول بكل حزن وألم: لا أعرف كيف سيعيش ابني هذا بعد وفاتي، وكان يحزن كثيرًا لتصوره أن ابنه هذا سيبقى محتاجًا إلى أخيه الأكبر طول حياته. وكان أحيانًا يضجر من عكوفه على مطالعة الكتب فيصفه بـــ "مُلَّان"[7] ويقول مستغربا: كيف وُلد في بيتنا "ملان"؟! ورغم كل ذلك كان يكنّ لعمله ومكانته تقديرًا وإجلالا كبيرَين، وكلما تذكّر فشلَه الدنيوي أفاق قلبُه وفرحَ برؤية استغراقِ ابنه في الأمور الدينية، فكان يقول: إن العمل الحقيقي هو ما يقوم به ابني هذا. ولكن لما كان قد قضى جُلّ حياته متعلِّقًا بالدنيا، فإن إعراض ابنه عن الدنيا كان يرجح لديه كفة الحزن، ولكن حضرته لم يكن يتأثّر بما كان يقوله والده بهذا الخصوص بل كان يجلس أحيانًا ليُسمِع والدَه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. كان هذا المشهد غريبًا من نوعه حيث كان الوالد في عالم وابنه في عالم آخر، وكلٌّ منهما يحاول أن يؤثر في الآخر بأفكاره، فالوالد كان يريد أن يؤثر في ابنه فيدفعه نحو السباق من أجل نيل

---

[7] أي الشيخ التقليدي المتزمت. (المترجم)

العزة الدنيوية، أما الابن فكان يريد أن يخلّص أباه من سجن الدنيا المهلك ويُشعل في قلبه قناديل محبة الله. باختصار، كانت هذه الأيام عجيبة وليس بوسع القلم أن يحيط بمشهدها، إلا أنه يمكن لكل إنسان أن يرسم في قلبه صورة لهذا المشهد. لقد عُرِض على حضرته في هذه الأيام أن يتوظف مرة أخرى، وكان بإمكانه أن يصبح مديرًا لقسم التعليم في ولاية "كفورثَلّة"، إلا أنه رفض هذا العرض، ونظرًا إلى هموم والده وأحزانه أحب البقاء في البيت ومساعدته في أموره قدر المستطاع مهما كانت ظروف المعيشة ضيقة. ومع أنه لم يكن يرتاح لهذه الأمور كما ذُكر، إلا أنه ظلّ منشغلا في قضايا والده طوعَ أمرِه لكي يجنبه الآلام ويجعل أيامه الأخيرة أكثر راحة، مع أنه لم يكن يأبه بالفوز أو الخسارة في قضايا المحاكم تلك.

آية إلهية في إحدى القضايا

كان المسيح الموعود عليه السلام منشغلا في الأمور الدنيوية لمساعدة والده ولكن قلبه كان منهمكًا في أمور أخرى. كان قد صار مثالا لمقولة: "دست در كار ودل بايار" أي اليد في العمل والقلب مع الحبيب، فكان ينشغل في ذكر الله تعالى فور فراغه من متابعة القضايا، ولم يكن يؤخر صلاته في تلك الأسفار التي كان يقوم بها

من أجل متابعة القضايا، بل كان يصلي الصلوات في وقتها حتى أثناء متابعته للقضايا في المحكمة. فقد حدث مرة أن حضر المحكمة من أجل متابعة قضية هامة ومصيرية لأهمية قرارها الذي سينسحب أثره على قضايا أخرى كثيرة وسيؤدي إلى صيانة الكثير من حقوقه إن حُكِم لصالحه. وحين وصل إلى المحكمة، كانت تجري مناقشة قضيةٍ أخرى وتأخرت حتى حان وقت الصلاة. ولما لاحظ أن القاضي مشغول في هذه القضية ووقت الصلاة يضيق، تنحى جانبًا فتوضأ وشرع يصلي في ظل بعض الأشجار. فلما بدأ الصلاة نودي في المحكمة إلا أنه ظل يصلي دون الالتفات لشيء آخر. فلما فرغ كان المتوقع يقينًا أن الفريق المخالف سيكون قد ربح القضية، لأنه بموجب قانون المحكمة إن لم يحضر المحكمةَ أحدُ الفريقين صدر القرار لصالح الثاني. فلما وصل المحكمة مفكّرًا في هذه الأمور علم أن القرار قد صدر، وكان لا بد له أن يعرف قرار المحكمة، فذهب واستعلم، فعلم أن القاضي الذي كان إنجليزيا قد بتّ في القضية وفق الأوراق والوثائق المقدمة من قِبل الفريقين وأصدر قرارًا لصالحه، وهكذا كان الله تعالى له وكيلا ومحاميا.

باختصار، كان عليه السلام منشغلا في هذه الأمور الدنيوية كمن يُكرَه على عمل ما، مع أن هذا العمل كان ينفعه في النهاية؛ لأن حفظ عقارات والده يعني حفظ أمواله هو أيضا لأنه كان سيرثها، ولكن انشغاله عنها مع كونه عاقلا بالغًا يدل على أنه كان راغبًا عن الدنيا ومعرضا عنها و لم يكن له أي هدف من حياته إلا الوصول إلى الله تعالى.

بذله الجهود الجبارة وتحمله المشقة

لم يكن عليه السلام كسولا رغم نفوره من الدنيا بل كان مجدًّا ومجتهدًا، ومع حبه لحياة الخلوة لم يكن يبالي بتحمل المشاق. لقد حصل مرارًا أنه إذا أراد القيام بسفر ما أرسل الحصان مع أحد الخدم وبلغَ المكانَ المرادَ بعد قطع مسافة عشرين أو خمسة وعشرين ميلا سيرًا على الأقدام. كان يحب المشي دائمًا أثناء سفره وقلما يركب رَكوبة، وظل على هذه الحال إلى آخر حياته، فرغم سنّه الذي تجاوز السبعين ورغم تعرضه لبعض الأمراض كان يخرج يوميًا للتنـــزه ولتغيير الهواء، وكان يمشي من أربعة إلى خمسة أميال يوميًا، وفي بعض الأحيان كان يمشي لسبعة أميال. وظل مواظبا على ذلك في شيخوخته، حتى إنه في بعض الأحيان كان يقوم بهذا التنـــزه قبل

صلاة الفجر (وكان توقيت صلاة الفجر قبل طلوع الشمس بساعة وربع تقريبا) ويمشي إلى قرية "وداله" (التي تقع على طريق "بطاله" وتبعد عن قاديان قرابة خمسة أميال ونصف ميل) ويعود عند وقت الصلاة.

بداية المكالمة الإلهية

كان عمره يناهز أربعين عامًا حين مرض والده مرضًا مفاجئًا في عام ١٨٧٦. ومع أن مرضه هذا لم يكن يبدو خطيرًا، إلا أن حضرته قد أُخبِر بوحي من الله تعالى: "والسماء والطارق" وما أدراك ما الطارق. وفهم من هذا الوحي أن الله تعالى يُخبره عن وفاة والده التي ستحدث بعد المغرب. ومع أنه كان يتلقى منذ سنة تقريبًا رؤى صالحة تحقَّقتْ بكل جلاء، وكان بعض الهندوس والسيخ شهودًا على ذلك - ولا يزال بعضهم موجودين إلى الآن - إلا أن الوحي الأول الذي تلقاه كان هو الوحي الذي أخبره الله تعالى فيه أن أباك الدنيوي سيموت، ولكنني سأكون لك أبًا سماويًا منذ الآن فصاعدًا. هذا هو أوّل ما تلقاه عليه السلام من الوحي وأُنبئَ فيه عن وفاة والده. وبطبيعة الحال فقد تألم عند تلقيه هذا الخبر وتساءل عمَّن سيكفل أمور حياته الآن، فتلقّى إثر ذلك وحيًا آخر واساه الله تعالى

فيه وسلّى قلبَه، وأرى أنه من الأنسب أن أذكر هذه القصة بكلمات المسيح الموعود، حيث يقول عليه السلام:

وفاة والده وتصرفات إلهية

"لما أُخبِرتُ بالوحي أن والدي سيُتوفَّى بعد غروب الشمس حزنتُ بمقتضى البشرية إثر تلقي هذا الخبر. ولَمَّا كانت معظم أسباب معاشنا مرتبطة به، وكان هو من يتلقى معاش التقاعد أيضا من قبل الحكومة الإنجليزية وكذلك كان يأخذ مبلغا لا بأس به منحةً، وكان كل ذلك مرتبطا بحياته؛ فخطر ببالي ما عساه أن يحدث بعد وفاته، وقلقتُ ظنا مني أنه قد تحلّ بنا أيام ضيق ومعاناة. وخطر هذا الخاطر بالبال في أقل من ثانية كالبرق. ثم غلبني نعاس في الحال وتلقيت وحيًا ثانيا: "**أليس الله بكاف عبده**". فتقوّى قلبي إثر هذا الوحي كأن جُرحا مؤلما اندمل دفعةً واحدة بتأثير مرهمٍ... حين تلقيت الوحي: "أليس الله بكاف عبده"، تيقنت في الحال أن الله تعالى لن يضيعني. فكتبت هذا الإلهام في الحال لهندوسي - اسمه "ملاوا مَل"، يسكن في قاديان ولا يزال على قيد الحياة - وقصصت عليه القصة كلها، وأرسلته إلى مدينة أمْرِتْسَر ليصنع منه خاتما بحفره في فصّ الخاتم بمساعدة الحكيم المولوي محمد شريف الكلانوري.

وكلّفت هذا الهندوسي بهذا العمل ليكون شاهدا على هذه النبوءة العظيمة وليكون المولوي محمد شريف أيضا من الشاهدين. فوصلني الخاتَم ببذل خمس روبيات عن طريق المولوي المذكور. ونقشه كما يلي:



(حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، ج٢٢، ص ٢١٩-٢٢٠)

باختصار، لقد تلقى ﷺ خبر وفاة والده قبل المغرب بساعات في اليوم الذي وافته المنية فيه. وبعد ذلك طَمْأنه الله تعالى بألا يقلق لأن الله تعالى سوف يهيئ له كل شيء. ويوم تلقِّيه هذين الإلهامين توفي والده مساءَ بُعَيد المغرب. ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من حياته.

بعض المشاكل وثباته فيها

كان لوالده عقارات وبيوت ومحلات في "بطاله" و"أمرتسر" و"غورداسبور"، كما كانت له بعض البيوت والمحلات والأراضي في قاديان. ولما كان له أخ واحد، وكان هو وأخوه سيرثان العقارات كلها وفق شريعة الإسلام، وكان نصيبه في العقارات يكفيه طوال حياته، إلا أنه لم يقتسمها مع أخيه، بل ظل يعيش على

ما يعطيه أخوه الأكبر، وهكذا حلّ أخوه الأكبر محل والده، ولكنه كان في تلك الأيام موظفًا يقيم في غورداسبور، لذلك فقد تعرض حضرته لمشكلة كبيرة حتى صعب عليه تأمين متطلبات الحياة الأساسية، وظل يعاني هذه الحالة حتى وفاة أخيه. كانت هذه الفترة سنوات ابتلاء له، وإن صبره وثباته في تلك الفترة دليل واضح على علو درجته، لأنه لم يطالب بحقه من إرث والده بل صبر واكتفى بما يُعطَى له من طعام وملابس. وقد كان أخوه بطبيعة الحال يسعى لتأمين حاجياته وكان يحبه ويحترمه أيضا إلى حدّ ما، ولكن مع كل ذلك فإنه بسبب انهماكه في الأمور الدنيوية كان يعُدّ أخاه جاهلا بـــحاجيات العصر ويعتبره كسولا، فكان يبدي أسفَه تجاهه ويقول له: لماذا لا تتوجه إلى عمل ما؟ أما حضرتُه فكان مُعرِضًا عن الأمور الدنيوية كلها.

وحدث في إحدى المرات أن طلب عليه السلام من أخيه بعض النقود لشراء جريدة ما، ولكن أخاه رفض طلبه رغم سيطرته على عقاراته وردّ عليه قائلا: هذا إسراف. إنك لا تعمل شيئا وتظل عاكفًا على مطالعة الكتب والجرائد كالعاطل.

باختصار، ما كان أخوه بسبب انشغاله التام في الأمور الدنيوية ليفهم ضروراته؛ فلم يكن راغبًا في تلبية حاجاته، مما حدا بحضرته إلى الصبر وتحمل الكثير من الأذى. وأكثر ما كان يؤذيه أن أخاه كان يقيم خارج قاديان في معظم الأحيان، فيعمد عُمّال أخيه إلى التضييق عليه وإزعاجه.

مجاهداته وإيثاره وخدمته للإسلام

لقد أُخبر عليه السلام في تلك الأيام أنه لنيل الإنعامات الإلهية هناك حاجة ماسة إلى القيام بالمجاهدات، وأن عليه أن يقوم بالصيام. فصام استجابة لهذا الأمر ستة أشهر، وحدث مرارا خلال هذه الفترة أنه كلما أتاه طعام من بيته وزّعه على الفقراء، ثم إذا طلب الطعام من البيت وقت الإفطار واجَه رفضًا تامًّا، فكان يكتفي بشرب الماء أو يتناول ما تيسَّر من طعام، ثم يصوم في اليوم التالي. كانت تلك فترة مجاهدات كبيرة عنده، وقد قضاها بكل صبر وثبات، ولم يلمّح لأخيه -حتى في أيام الشدة- ولو تلميحًا بسيطًا أنه يريد نصيبه من الميراث. لم يكن توزيع الطعام على الفقراء يقتصر على فترة صيامه فقط بل كان ذلك دأبُه في الأيام العادية أيضا، وفي بعض الأحيان لم يكن يتبقى عنده إلا نصف رغيف خبز صغير لا يتجاوز الخمسين

غرامًا يسدّ به رمقَه، وأحيانًا كان يوزع طعامه على الفقراء ويكتفي ببعض الحُمّص المحمَّص، فأصبح بعض الفقراء يقيمون عنده. كان هناك بونٌ شاسعٌ بين مجلسَي الأخوَين؛ إذ كان مجلس أحدهما يضمّ الأمراء والأغنياء، والآخر يجمع الفقراء والمحتاجين الذين كان حضرته يُشرِكهم في طعامه القليل ويؤثرهم على نفسه.

في تلك الأيام نفسها أخذ عليه السلام يبذل جهوده لخدمة الإسلام، وبدأ يكتب مقالات في الجرائد للردّ على المسيحيين والآريا من الهندوس، فظهرَ اسمه وخرج من غمرة العزلة وذاع صيته بين الناس، إلا أنه ظل في خلوته ولم يكن يخرج إلا قليلا، حيث كان يقيم في حجرة مجاورة للمسجد طولها خمسة أقدام وعرضها ستة. وإذا جاءه أحدٌ لقِيَه خارج المسجد أو ذهب به إلى البيت. فبقي خلال هذه الفترة يعيش في زاوية الخمول والخلوة رغم ذيوع اسمه وسطوع نجمه.

وقد ظل يتلقى وحيًا من الله تعالى بكثرة في أيام المجاهدات تلك. كما تلقى بعض الأنباء الغيبية التي كانت تتحقق في وقتها، فتزيدَه إيمانًا وتبعث الهندوس والسيخ من أصدقائه على حيرة ما بعدها حيرة.

الإعلان عن كتاب البراهين الأحمدية

في البداية كان عليه السلام ينشر مقالاته في الجرائد، ولكنه لما رأى أن أعداء الإسلام يزدادون هجومًا على الإسلام، وأنّ المسلمين يندحرون أمام هجماهم، فارت في قلبه الغيرة على الإسلام، وعزم مأمورًا بوحي الله تعالى على تأليف كتاب يحوي أصولَ صدقِ الإسلام التي تُعجز المعارضين فلا يجرؤوا على تحدي الإسلام، وإن لم يرتدعوا وتحدّوا الإسلام بعدها فسيكون بإمكان كل مسلم أن يردّ على هجماهم بتلك الأصول. فبهذه النية والعزيمة بدأ يؤلف ذلك الكتاب العظيم الذي عُرف بالبراهين الأحمدية، والذي ليس له مثيل في مؤلفات الناس. فلما اكتمل الجزء الأول منه طلب من الناس المساعدة في نشره، فنشر الجزء الأول منه -الذي كان إعلانا لنشر هذا الكتاب- بواسطة الإعانة المالية لبعض الناس الذين كانوا قد اعترفوا بجدارته لاطلاعهم على مقالاته.

فلما نشر هذا الجزء من الكتاب أثيرت ضجة في البلد كله. ومع أنه كان إعلانا عن الكتاب، إلا أنه أيضا قد حوى ذكر بعض الأصول الرائعة لإثبات صدق الإسلام بحيث ترسخت توقعات عظمة الكتاب لدى كل من اطلع على هذا الإعلان. ولقد ذكر فيه

عليه السلام أنه لو استطاع تابعُ أي دين من الأديان أن يقدم من دينه مثل مزايا الإسلام التي سيقدمها حضرته أو نصفها أو ربعها فسيسلِّم له كلَّ عقاراته التي كان ثمنها في ذلك الوقت يبلغ عشرة آلاف روبية تقريبا. (وهذه هي المناسبة الوحيدة التي استفاد فيها من جلّ عقاراته وكانت في سبيل إثبات مزايا الإسلام، حيث وعد بتقديمها جائزةً حتى يتحفّز أتباع الأديان الأخرى للخروج إلى ميدان الدفاع والمناضلة فيثبت في النهاية انتصار الإسلام)

نُشر الجزء الأول من هذا الكتاب في ١٨٨٠، ثم نُشر الجزء الثاني في ١٨٨١ والثالث في ١٨٨٢ والرابع في ١٨٨٤. ومع أن غايته لم تتحقق بنشر هذا الكتاب بالصورة التي ينشدُها، وأنه أُخبِر أثناء تأليفه لهذا الكتاب عن طريق الوحي أنه قد قُدّر له أن يقوم بخدمة الإسلام بصورة أخرى، إلا أن ما كتبه في هذا الكتاب إلى ذلك الحين كان كافيًا لفتح أعين الناس.

بعد نشر هذا الكتاب اضطر أصدقاؤه وأعداؤه إلى الاعتراف بجدارته وكفاءته العلمية، ورُعِب أعداء الإسلام لدرجة أنّه لم يستطع أحد منهم الردَّ عليه. أما المسلمون فقد فرحوا لدرجة أنهم باتوا يعدّون مؤلّفه مجدّدًا قبل دعواه أنه المسيح ابن مريم، كما اعترف

العلماء الكبار في عصره بعلمه وفضله؛ فكتب المولوي محمد حسين البطالوي الذي كان زعيم فرقة أهل الحديث، أي الوهابيين، مقالا طويلا تقريظًا لهذا الكتاب وأيّده أيّما تأييد، وقال بأنه لم يُؤلَّفْ في تأييد الإسلام كتابٌ مثله خلال القرون الثلاثة عشر الماضية، وقد كان هذا المولوي يحتل بين العلماء مكانة كبيرة، وبسببها كان يحظى في الحكومة أيضا بقدر كبير من الاحترام والإكرام.

الأخبار الغيبية وسلسلة الوحي

لقد كتب عليه السلام في هذا الكتاب بعض وحيه أيضا، ويبدو مناسبًا أن نذكر بعضًا منه في هذا السياق لأن صدقه أو كذبه سيتبيّن من الأحدث اللاحقة، فمن هذا الوحي:

"جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ." (التذكرة، ص ١٠٤)

"يأتيك من كل فج عميق. ويأتون من كل فج عميق." (التذكرة، ص ٥٠)

"إن الملوك يتبرّكون بثيابك." (التذكرة، ص ١٠)

هذه الإلهامات نشرها عليه السلام في البراهين الأحمدية في عام ١٨٨٤ عندما كان في الدنيا شخصا لا حول له ولا قوة، ولكن ما أن نشر هذا الكتاب حتى ذاع صيته في أرجاء الهند وأخذ كثير من الناس يتطلعون إلى مؤلف البراهين الأحمدية آملين أنّه سيكون رُبّان سفينة الإسلام، وأنه هو مَن سيحمي الإسلام من هجمات الأعداء. كان ظنّهم هذا صحيحًا، ولكن قدّر الله تعالى تحقيقه بصورة أخرى، وكانت الأحداث ستثبت أن الذين استعدوا ليفدوه بأنفسهم تلك الأيام سوف يتعطشون لدمه، وسيبذلون قصارى جهدهم لإلحاق الضرر به. ولكنه سيكون مقدرًا أن ينتشر قبوله بصولاتٍ قوية من الله تعالى وليس بالمساعدة البشرية.

وفاة أخيه

في عام ١٨٨٤ توفي أخوه، وبما أن أخاه لم يرزق بولد فقد ورثه حضرتُه، إلا أنه لم يأخذ العقارات في ذلك الوقت مواساة لأرملة أخيه، وسجّل نصف ذلك الإرث باسم ابنه مرزا سلطان أحمد الذي تبنّته أرملة أخيه بصورة رسمية. ولما أثير سؤال التبنّي كتب عليه السلام بكل صراحة أن الإسلام لا يجيزه، إلا أنه مواساةً لأرملة أخيه أعطى

بطيب الخاطر نصف نصيبه لرعايتها، أما النصف الباقي فلم يستحوذ عليه حضرته بل ظل تحت سيطرة أقاربه مدة طويلة.

زواجه الثاني، رجوع خلق اللّه إليه، الإعلان عن دعواه

بعد وفاة أخيه بسنة ونصف تزوج عليه السلام في دلهي بتوجيه الوحي الإلهي. وبما أن كتاب البراهين الأحمدية كان قد نشر، فقد بدأ بعض الناس يأتون لزيارته. وأخذت قاديان - التي تقع على طرف من الدنيا - تتحول إلى مكان ينـــزل فيه ضيوف كل شهر أو شهرين. وشرع الناس يتعرفون إلى البراهين الأحمدية في تلك الفترة، فأخذ صيته يعلو وينتشر رويدًا رويدًا. وبسبب قراءة المولوي نور الدين لكتاب البراهين الأحمدية، تحوّل إلى محبّ صادق لحضرته — هذا المولوي المحترم هو ذلك الإنسانُ العظيم الذي كان الأصدقاء والأعداء يشهدون بعلمه وفضله وكان يُثبت جدارته العلمية سواء كان في مجلس الأوروبيين أو أهل بلده - بل عدَّ المولوي حبّ المسيح الموعود فخرا لنفسه، إنه أستاذي المكرم حضرة مولانا نور الدين رضي الله عنه الذي كان طبيبًا ملكيًا عند مهراجا كشمير وقتَ نشر

البراهين الأحمدية، فقد قرأ البراهين الأحمدية هناك وأحب مؤلِّفَه لدرجة أنه تمسك بأهدابه و لم يتركه حتى آخر لحظة في حياته.

بداية أخذه البيعة

لقد بدأ تأثير البراهين الأحمدية يزداد يوما بعد يوم، وأخذ بعض الناس يلتمسون من حضرته أن يأخذ منهم البيعة، ولكنه رفض وردّ عليهم بأن كُلّ أموره بيد الله تعالى، إلى أن جاء كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٨٨٨ حيث أُمر بأخذ البيعة بوحي من الله تعالى، وأخذ البيعة الأولى في عام ١٨٨٩ في لدهيانه في بيت أحد المخلصين، وهو ميان أحمد جان. وكان المولوي نور الدين رضي الله عنه هو أول من بايع ذلك اليوم، كما بايع فيه قرابة أربعين شخصًا، ثم أخذ الناس يدخلون في بيعته رويدًا رويدًا.

الإعلان عن كونه المسيح الموعود

لقد حدث تغيرٌ عظيم في عام ١٨٩١ إذْ أُخبِر عليه السلام بواسطة الوحي أن المسيح الناصري عليه السلام - الذي يؤمن المسلمون والنصارى بمجيئه الثاني- قد مات ميتة طبيعية، فلا يمكنه المجيء ثانية، والمراد من بعثته الثانية هو بعثةُ شخص مثيلٍ له، وهو ليس إلا حضرتُه. فلما انشرح صدره لذلك واضطره الوحي النازل عليه بالتواتر إلى أن

يعلن عن ذلك، نهض لإعلانه. كان عليه السلام قد تلقى هذا الإلهام في قاديان، فقال لأهله بأنه قد عُهد إليه أمرٌ يؤدي الإعلان عنه إلى معارضة شديدة له. سافر بعد ذلك إلى "لدهيانه" حيث أعلن في ١٨٩١ أنه المسيح الموعود.

معارضة المشايخ الشديدة ومناظرة لدهيانه

ما أن نشر حضرته هذا الإعلان حتى ثارت لمعارضته ضجة في أرجاء الهند كلها، واشتدت المعارضة لدرجة أن العلماء الذين كانوا يؤيدونه قد هبّوا لمعارضته.

معارضة المولوي محمد حسين البطالوي

إن المولوي محمد حسين البطالوي - الذي كان قد كتب في تأييده عليه السلام مقالات كثيرة في مجلته إشاعة السنة - أقام الدنيا ولم يقعدها بعد هذا الإعلان، وكتب: أنا الذي أوصلتُه إلى هذا المكان العالي، وأنا الذي سأسقطه منه الآن؛ أي إنه قد نال شيئًا من العظمة بسبب تأييدي له، وسأعارضه معارضة شديدة الآن لدرجة أنه سيسقط من أعين الناس وتتشوه سمعته.

مناظرة لدهيانه

ثم وصل المولوي المذكور مع بعض المشايخ الآخرين إلى لدهيانه حيث تحدى المسيح الموعود عليه السلام للمناظرة فقبِلَها عليه السلام. لقد لجأ الفريق المخالف له في هذه المناظرة[8] إلى بحوث تافهة عقيمة لم تُسفر عن نتيجةٍ واضحة لها. فلما رأى نائب المحافظ أنه قد حدثت إثارة وفتنة عظيمة يمكن أن تؤدي إلى حدوث حالة تمرد، أَمَرَ المولوي محمد حسين البطالوي بمغادرة "لدهيانه" في ذلك اليوم نفسه. وتحسُّبًا لصدور أمر مماثل للمسيح الموعود، غادر عليه السلام أيضًا "لدهيانه" إلى أمرتسر وفق ما أشار عليه بعض رفقائه، وأقام هناك ثمانية أيام. ثم بعد ذلك لما سُئل المحافظ عن هذا الأمر قال: لم يكن هناك أمر يخص حضرته، فرجع عليه السلام إلى لدهيانه وأقام هناك أسبوعًا آخر ثم عاد إلى قاديان.

سفر دلهي والمناظرة مع المولوي نذير حسين

مكث عليه السلام في قاديان فترة وجيزة ثم سافر إلى لدهيانه مرة أخرى حيث أقام مدة ثم توجه إلى دلهي ونزل فيها صباح يوم

---

[8] لقد بدأت هذه المناظرة في ٢٠ تموز/ يوليو عام ١٨٩١ وظلت لبضعة أيام متواصلة. وبما أن المناظرة كانت خطية، لذلك نشرت فيما بعد بعنوان: الحق مناظرة لدهيانه. (الناشر)

١٨٩١/٩/٢٨. وبما أن دلهي كانت تُعَدُّ في تلك الأيام مركز العلوم في الهند كلها، وكان يتم تأليب الناس ضد حضرته هناك سلفًا، فقد هاج العلماء حالَ وصوله إلى هناك وطفقوا يتحدونه ليناظرهم، فتقرر عقد المناظرة بينه وبين المولوي نذير حسين الذي كان شيخًا لجميع علماء الحديث في الهند كلها، وتعيّن أن تكون هذه المناظرة في المسجد الجامع. جدير بالذكر أن المعارضين قرروا من طرف واحد كل ذلك دون أن يُطلعوا عليه المسيح الموعود، فلما حان الموعد وصل الحكيم عبد المجيد خان إلى المسيح الموعود عليه السلام بسيارته وقال: هناك مناظرة في المسجد الآن. قال عليه السلام لا يسعنا الخروج في مثل هذه الأوضاع المتأزمة ما لم تتم إجراءات لازمة من قبل الحكومة للمحافظة على الأمن. إلى جانب ذلك كان ينبغي أن تتم مشاورتنا بخصوص المناظرة وكان لا بد من الاتفاق على شروطها أيضا. إن إحجامه عن الذهاب إلى هناك أثار حفيظة المشايخ، فأعلن عليه السلام بأنه لو أقسم المولوي نذير حسين الدهلوي في المسجد الجامع على أن المسيح عليه السلام حيّ وفق القرآن الكريم ولم يمت إلى الآن ثم لم يتعرض لعذاب سماوي إلى سنة كاملة، فسأكون كاذبًا، وسأحرق كتبي كلها، كما حدّد له موعدًا أيضا، فقلق

تلاميذ المولوي نذير حسين قلقًا شديدا وراحوا يضعون عراقيل شتى لمنع تحقُّق مطلب المسيح الموعود عليه السلام، ولكن الناس رضوا به وأصروا عليه قائلين: ما الحرج في أن يجيب المولوي المذكور دعوى مرزا المحترم ويقسم بالله كما طلب منه؟ وكان قد اجتمع الناس بكثرة. وقد أشار البعض على حضرته بعدم التوجه إلى المسجد لأن ذلك قد يؤدي إلى إثارة ضجة كبيرة، ولكنه ذهب[٩] إلى هناك مع أصحابه الاثني عشر (كان للمسيح عليه السلام اثنا عشر حواريا، وإن وجود هذا العدد الخاص من صحابة المسيح الموعود عليه السلام وفي هذه المناسبة العظيمة آيةٌ أخرى). كان مبنى المسجد الجامع الواسع مليئًا بالناس، كما أنهم ازدحموا خارجه، بل كانوا يقفون على أدراج المسجد أيضا. مرّ عليه السلام من بين الألوف المؤلفة من الناس مع جماعته القليلة ووصل إلى محراب المسجد، وجلس هناك، بينما كان الدهماء ينظرون إليه بنظرات تقطر دمًا من شدة الغضب والحنق.

كان ضابط الشرطة المشرف قد جاء مع بعض الضباط وقرابة مائة شرطي أيضا للسيطرة على الوضع. والكثير من الناس جاؤوا

---

[9] لقد نشر عليه السلام إعلانا بهذا الخصوص في ١٨٩١/١٠/١٧ ودعا فيه المولوي نذير حسين أن يأتي إلى المسجد الجامع في دلهي في ١٨٩١/١٠/٢٠ عصرًا. (الناشر)

وقد ملأوا جيوبهم بالأحجار وكانوا على أهبة الاستعداد لرشقها بإشارة صغيرة. الخلاصة أنّ المسيح الثاني كان على وشك أن يكون بدوره ضحية الفقهاء والفريسيين، ولكن الناس عزموا على قتل المسيح الثاني رجما بالحجارة بدلا من صلبه. لقد فشلوا في المناظرة فشلا ذريعًا، أما قضية وفاة المسيح فلم يقبل الناس البحث فيها، لم يدَعوا المولوي نذير حسين يحلف كما لم يحلف غيره. طلب الخواجه محمد يوسف المحامي في "عليغره" من حضرتِه أن يكتب معتقداته، ثم حين أراد أن يُسمعها للناس منعه المشايخ، لأنهم كانوا قد أخبروا الناس بأن حضرتَه لا يؤمن بالقرآن ولا بالحديث ولا يؤمن بالنبي الكريم ﷺ، فخافوا فضحَ أمرهم، لذلك ألّبوا الناس فتهارجوا وأثاروا ضجة كبيرة حالتْ دون قراءة محمد يوسف محتوى هذه الورقة على مسامع الناس.

فلما رأى ضابط الشرطة أن الوضع قد ازداد سوءًا ووصل إلى حالة خطيرة جدًّا أمرَ الشرطة بتفريق الناس المزدحمين وأعلن إلغاء المناظرة، فتفرق الناس وشكلت الشرطة حلقة حول المسيح الموعود خرجت به من المسجد، توقف عليه السلام على باب المسجد لوقت قصير في انتظار السيارات، ولكن الناس ازدحموا هناك وأرادوا أن ينقضوا

عليه ثائرين، مما حدا برجال الشرطة إلى إرساله عليه السلام في سيارتهم بينما انشغلوا في تفريق حشود الناس.

بعد ذلك دعا أهل دلهي المولوي محمد بشير من "بهوبال" وتمت المناظرة معه وقد طبعت مجرياتها.

بعد أيام قليلة رجع المسيح الموعود إلى قاديان، ولكن بعد شهور عديدة وفي عام ١٨٩٢ قام بسفر آخر إلى لاهور، حيث تمت المناظرة مع المولوي عبد الحكيم الكلانوري، وبعد ذلك عاد إلى قاديان مرورًا بسيالكوت وجالندهر ولدهيانه.

المناظرة مع المسيحيين بعنوان "الحرب المقدسة"

بعد ذلك في عام ١٨٩٣ حدثت مناظرة بين المسيح الموعود والمسيحيين، وعُيّن عبد الله آتهم مناظرًا فيها من قبل المسيحيين. عقدت هذه المناظرة في مدينة "أمرتسر" واستمرت لمدة خمسة عشر يومًا، وقد نُشرتْ باسم "الحرب المقدسة".

وقد حدث في هذه المناظرة أيضا مثلما حدث للمعارضين سابقًا وهو أن المعارضين المسيحيين واجهوا هزيمة نكراء، كما كان أثرها الطيب على الحضور مفيدًا جدًّا. (لقد تمت المناظرة خطيًّا وكان الفريقان يكتبان ردودهما جالسين متقابلين، فجُمعت هذه الكتابات

ونشرت في صورة كتاب)، ويتضح بقراءة هذه المناظرة أن المناظر المسيحي كان ينـــزعج من استدلالات المسيح الموعود، مما كان يضطره إلى تبديل موقفه مرة بعد أخرى، وفي بعض الأحيان كان المسيحيون يلجأون إلى الكلام القاسي وغير اللائق أيضا. لقد طرح عليه السلام في هذه المناظرة مبدأ جديدا في النقاش، إذ قال إنه يجب على كل فريق أن يبرهن على صدق دعاواه من الأدلة المذكورة في كتاب دينه المقدس لا غير.

واقعة عجيبة

لقد حدث في هذه المناظرة حادث عجيب اقتنع من خلاله الأصدقاء والأعداء على حد سواء بذكاء المسيح الموعود الحادّ بفضل الله تعالى وبكونه مؤيَّدًا من الله تعالى، وهو أن المسيحيين قد كادوا له ليواجه الحرج والندم، فبينما كان النقاش يدور إذ جاؤوا ببعض العرج والعميان أثناء المناظرة وأوقفوهم أمامه وقالوا له: تدّعي بأنك المسيح، والمسيح كان يشفي العرج والمعاقين والعمي، فلا يمكن أن تكون صادقًا في دعواك حتى تشفي هؤلاء المرضى، ولستَ بحاجة إلى الذهاب بعيدًا، لأننا أحضرنا هؤلاء المرضى هاهنا. فلما عرضوا هذا الأمر اندهش الجميع وأخذوا ينتظرون

ماذا عسى أن يردّ به عليهم. أما المسيحيون فكانوا فرحين جدًّا بحيلتهم هذه لأنهم ظنوا أن الحجة قد تمت عليه بكل قوة، فقد اضطروه إلى مواجهة الحرج والندم الكبير أمام حشد من الناس. ولكن لما ردّ على مطلبهم هذا تحول الفرح كله إلى أسف شديد والنصرُ إلى هزيمةٍ نكراء، واعترف الجميع ببداهة ردّه المعقول، قال عليه السلام: لقد ورد ذلك في الأناجيل، أما نحن فلا نؤمن بأن المسيح كان يشفي مثل هؤلاء المرضى، بل نرى أن معجزات المسيح كانت لها صبغة أخرى. بينما يدّعي الإنجيل بأنه كان يشفي المرضى جسديًا بمجرد تمرير يده عليهم وليس بالدعاء ولا بالدواء. إضافة إلى ذلك فلقد ورد في الإنجيل: لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لأمكنكم أن تقوموا بأعمال أعجب من هذا[10]. وعليه فكان ينبغي أن نقوم نحن بتقديم هؤلاء المرضى أمامكم، ولا يحق لكم أن تقدموهم أمامنا. وها نحن نقدّم أمامكم هؤلاء المرضى الذين قد جمعتموهم مشكورين، ونقول لكم إنه إذا كان فيكم

---

[10] يشير المسيح الموعود عليه السلام إلى هذا النص ويذكره بالمعنى: "لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ". (إِنْجِيلُ مَتَّى ١٧: ٢٠). (المترجم)

إيمان مثل حبة خردل فضعوا أيديكم عليهم وقولوا لهم أن يبرأوا من أمراضهم، فلو شُفوا منها تيقَّنَّا بأنكم على الحق ودينكم هو الدين الحق، وإلا فلا يسعنا أن نؤمن بصدقكم ما لم تحققوا ما تدَّعونه. لقد كان لهذا الرد تأثير بالغ أفحم المسيحيين واضطرهم إلى الصمت المطبق، واللجوء إلى تغيير مجرى الحديث.

ثم سافر عليه السلام في هذه الأيام نفسها إلى "فيروز بور" أيضا، إلا أنه قد أوذي في جميع أسفاره، وآلمه الناس كثيرًا بكلماتهم، وكان ما كتبوه ونشروه ضده يتجاوز كل الحدود في الإيذاء. فحيثما ذهب وأينما توجه كان الناس يقومون بإيذائه.

سعيه لعطلة يوم الجمعة

لقد بدأ المسيح الموعود حملة من أجل أن تسمح حكومة الهند بعطلة يوم الجمعة أسبوعيًا. وقد أعلنها في أول يوم من سنة ١٨٩٦ إظهارًا لعظمة الإسلام وترويجًا لشعيرة صلاة الجمعة. كان قد ترسخ لدى المسلمين أفكار خاطئة بخصوص الجمعة مع الأسف؛ إذ أثيرت نقاشات بينهم، وعلَّق بعضهم فرضية الجمعة على بعض الشروط، مما أدى إلى تركهم صلاة الجمعة في أماكن كثيرة، فأحياها المسيح الموعود عليه السلام، وأراد أن تقبل الحكومة اقتراح عطلة يوم الجمعة،

وكانت هذه آية عظيمة على صدقه. وقبل إعداد المذكرة التي اقترح إرسالها إلى الحكومة عارضه المشايخ كعادتهم وأرادوا أن يتولوا هم قيادة هذه الحملة. وبما أنه عليه السلام كان يقوم بهذا العمل لله فحسب ولم يكن يريد من ذلك أي مدح أو شكر من أحد، إنما كان هدفه هو القيام بهذه الخدمة بغض النظر عن فاعلها، لذلك وبناء على طلب المولوي محمد حسين البطالوي، أعلن حضرتُه عن تسليم جميع الأمور المتعلقة بهذه الحملة إليه ليقوم هو ببذل الجهود المطلوبة من أجل عطلة يوم الجمعة كما كان يدّعي. ولكن للأسف قد أوقف المولوي المذكور مواصلة هذه الحملة. ولما كان هذا مشروعًا إلهيا فقد تحقق فيما بعد من خلال جماعة المسيح الموعود بنجاح عظيم.

مؤتمر عظيم للأديان العظمى

في أواخر عام ١٨٩٦ أراد بعض الأشخاص عقد مؤتمر ديني في لاهور ووجهوا دعوة الاشتراك فيه إلى أتباع جميع الديانات، ولقيت الدعوة قبول الناس. كان الشرط الأساسي الذي طُلِب الالتزام به في إعداد البحوث هو عدم مهاجمة الديانات الأخرى. وطُلب من ممثلي مختلف الديانات إلقاء كلماتهم حول المواضيع الخمسة التالية:

١. حالات الإنسان الطبْعية والأخلاقية والروحانية.

٢. حالة الإنسان بعد الموت.

٣. الغاية الحقيقية من الحياة الدنيوية للإنسان، ووسائل تحقيقها.

٤. تأثير الأعمال على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٥. وسائل العلم، أي المعرفة الحقيقية.

والحق أن المسيح الموعود عليه السلام هو من كان مؤسسًا حقيقيًا لهذا المؤتمر، وذلك أنه لما جاء ذلك الشخصُ - الذي عُدَّ فيما بعد مقدّمًا لهذا الاقتراح - ضيفًا إلى قاديان، اقترَح عليه حضرتُه عقْد هذا المؤتمر. ولما كان عليه السلام يتوخى إطلاع الناس على صدق ما جاء به وكانت جميع أعماله بعيدة عن الرياء؛ حثّ هذا الشخصَ على السعي للقيام بهذا العمل، ثم نَشرَ أول إعلانٍ له من قاديان، كما عيّن أحد أصحابه ليساعد ذلك الشخص بكل الوسائل المتاحة له، ووعده بأنه أيضا سيكتب مقالا لهذا المؤتمر. فلما جلس عليه السلام لكتابة المقال مرض وأصيب بالزحار الشديد، إلا أنه كتب مقالا خلال هذا المرض الشديد، وبينما كان يكتب هذا المقال تلقى وحيًا من الله تعالى يقول: سيحقق هذا المقال تفوقًا وعلوًّا. أي أن مقالَك هذا سيفوق المقالات كلها التي ستُلقى في المؤتمر. فنشر حضرته معلنًا أن مقالَه هذا سيتفوق على جميع المقالات.

لقد تقررت أيام ٢٦ إلى ١٨٩٦/١٢/٢٩ موعدًا لعقد هذا المؤتمر، وعيّنت لجنة التحكيم المؤلفة من ستّ شخصيات كبيرة، وهم السادة الأفاضل:

١. "رائي بهادر بابو برتولي تشاندر" القاضي من البنجاب.

٢. "خان بهادر الشيخ خُدا بخش" القاضي بلاهور.

٣. "رائي بهادر باندت رادها كشن كول" المحامي وحاكم ولاية جامون سابقا.

٤. " مولانا نور الدين" الطبيب الخاص لمهراجا كشمير سابقا.

٥. "رائى بهواني داس" م.أ.

٦. "سردار جواهر سنغ" سكرتير لجنة "السيخ الخالصة" بلاهور.

لقد أعدّ علماء مرموقون من جميع الأديان مقالاتهم لهذا المؤتمر، لذلك كانت رغبة الناس في حضوره عارمة، وصار هذا المؤتمر أشبه بحلبة الأديان التي يتمنى أتباع كل دين انتصار زعمائهم فيها. كانت الأديان الهندية القديمة تُعدُّ في مأمن لوجود كثرة كثيرة من أتباعها ومشجعيها في هذا المؤتمر، أما مقال المسيح الموعود فكان سيُلقى في مؤتمرٍ مليء بالأعداء، ولم يكن هنالك من أصدقاء له إلا قليل جدًّا،

لأن جماعته في ذلك الوقت لم تكن تتجاوز مائتي أو ثلاثمائة شخص، ولم يحضر هذا المؤتمر أزيد من خمسين منهم.

كان الوقت المحدد لمقال المسيح الموعود عليه السلام هو من الساعة الواحدة والنصف إلى الثالثة والنصف من يوم ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر. لم يستطع عليه السلام الذهاب إلى هناك، إلا أنه عيّن لقراءة هذا المقال أحدَ صحابته المخلصين، وهو المولوي عبد الكريم. فلما بدأ المولوي عبد الكريم بقراءة المقال أنصتَ جمهور المؤتمر بخشوع وكأن على رؤوسهم الطير، ولم يعرف الناس كم مضى من الوقت على إصغائهم له، لأنه قد انتهى وقت المقال بينما لم يكتمل الرد على الموضوع الأول، مما أثار قلق الحضور. ولكن كانت فرحتهم عارمة عندما أعلن المولوي مبارك علي السيالكوتي الذي كان مقاله سيُقرأ بعد مقال المسيح الموعود، أنه يتنازل ويعطي وقتَ مقاله، فظل المولوي عبد الكريم يقرأ حتى حان موعد انتهاء المؤتمر وهو الساعة الرابعة والنصف مساء، ولكن لم ينتهِ إلى ذلك الوقت أيضا الردّ على السؤال الأول، وكان الناس يصرون على مواصلة هذا المقال حتى النهاية، مما حدا بالمنسقين أن يمدِّدوا له الوقت، فاستمر المقال إلى الساعة الخامسة والنصف، وإلى هنا قد انتهى الرد على

السؤال الأول، وعند ذلك ألحّ الحضور لتمديد يوم آخر للاستماع إلى هذا المقال، وبناء على ذلك تم تمديد المؤتمر إلى يوم ٢٩ ديسمبر. وبما أن بعض ممثلي الأديان الأخرى أيضا طلبوا شيئا من الوقت، لذلك فقد أُعلِن أن البرنامج سيبدأ في الساعة التاسعة والنصف بدلا من العاشرة والنصف، وتقرر أن يُلقى مقال حضرته أولا. في الأيام الثلاثة الأولى لم يكن الناس يحضرون بكثرة حتى موعد بداية الجلسة الصباحية، أي في الساعة العاشرة والنصف، ولكن تأثرًا بمقال حضرته في اليوم الأخير من المؤتمر بدأ الناس يصلون إلى مكان المؤتمر أفواجًا حتى قبل التاسعة صباحًا في هذا اليوم الإضافي. بدأت الجلسة في موعدها المحدد وخصصت ساعتان ونصف لمقال المسيح الموعود، ولكن لم ينته المقال خلال هذه المدة، فاضطر المنسقون إلى إعطاء وقت أكثر، لأن الحضور أصروا على مواصلة هذا المقال، مما دفع لجنة التحكيم إلى إعطاء وقت أكثر له. باختصار انتهى هذا المقال بعد أن استغرق سبع ساعات من يومي المؤتمر. ولقد اشتهر الأمر في لاهور كلها واعترف الجميع أن مقاله كان فائقًا، كما اعترف أتباع الأديان والملل كلها بروعته وجماله. وبحسب تقدير كُتّاب تقارير المؤتمر، كان عدد الحضور يزداد وقت

قراءة مقاله ليصل إلى سبعة أو ثمانية آلاف أكثر من المعتاد في الأيام الأخرى.

باختصار، كان هذا الخطاب نصرًا عظيمًا أحرزه المسيح الموعود وترسخت بذلك عظمته عليه السلام في قلوب معارضيه، واعترفت بعض الجرائد المعارضة له أيضا أن مقاله كان متفوقًا. إن المقال المذكور تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان " Philosophy of the teachings of Islam" أي: "فلسفة تعاليم الإسلام" وذاع صيته في أوروبا وأميركا.

في بداية عام ١٨٩٧ قدم عليه السلام طريقًا آخر لإتمام الحجة على العالم المسيحي، حيث وجه إليهم تحدّيًا للخروج إلى ساحة النزال من أجل إثبات الشخصية الحقيقية للمسيح عليه السلام ولإصلاح المعتقدات المسيحية. لا شك أن التحدي كان موجّها إلى جميع الأديان ولكنه كان يخاطب المسيحيين بوجه خاص، وكان مصحوبًا بجائزة قدرها ألف روبية لمن يثبت أن نبوءات يسوع ومعجزاته كانت أقوى من نبوءات المسيح الموعود عليه السلام ومعجزاته، إلا أن أحدًا لم يجرؤ على ذلك.

واقعة مقتل "ليكهرام"

في ١٨٩٧/٣/٦ قُتل أحد الهندوس الآريا "ليكهرام" وفق نبوءة المسيح الموعود، مما جعل الآريا يثيرون ضجة كبيرة، ودفع ذلك بعضَ الأشرار منهم لإلحاق الأضرار بالمسلمين الأحمديين وغير الأحمديين أيضا. كما أثاروا ضجة كبيرة ضد المسيح الموعود عليه السلام وأُلصقت به تهمة القتل بكلمات صريحة. وفُتِّشَ بيته بحثًا عن خيوط قد تثبت القتل، ولكن الله تعالى خيّب آمال الأعداء، ورغم محاولتهم إلصاق تهمة القتل به لم يفلحوا في مرامهم، وثبت أنه عليه السلام بريء من كل هذه التهم.

زيارة حسين كامي - السفير التركي - لقاديان

في أيار/ مايو من عام ١٨٩٧ بدأت أحداث واقعة عظيمة ستبقى مسجلة في التاريخ آيةً على صدق المسيح الموعود عليه السلام. لقد حضر إلى قاديان السفير التركي حسين كامي بعد إرساله طلبات عديدة إلى المسيح الموعود عليه السلام. وقد أخبره عليه السلام بناء على الوحي الإلهي وبفراسته عن حالته وعما سيحل بتركيا من مصائب، لأن السفير المذكور قد طلب منه عليه السلام دعاءً خاصًا من أجل الحكومة العثمانية،

فقال له عليه السلام بكل وضوح: إن حكومة سلطان تركيا ليست صالحة، وأرى عن طريق الكشف أن حالة أركان حكومته أيضا سيئة، ولا أرى في ظل هذه الظروف والأوضاع أن العاقبة ستكون حسنة.

لقد غضب السفير عند سماعه هذه الأمور، ونشر في إحدى جرائد لاهور رسالته المليئة بالشتائم، مما دفع المسلمين في الهند والبنجاب إلى إثارة ضجة ضد المسيح الموعود، إلا أن الأحداث اللاحقة كشفت حقيقة هذا الأمر وتحققت نبوءات كثيرة. لقد تعرّض السفير المذكور للوعيد الوارد في وحيه عليه السلام: "إني مهين من أراد إهانتك"، إذ أُخذ في اتهام شنيع وخطير وعوقب على ذلك، كما أن الجريدة التي نشرت رسالته وأيدت ما قاله أيضا لم تنجُ من العقاب، أما ما آلت إليه حالة الحكومة التركية فلا يخفى على أحد.

قضية الدكتور مارتن كلارك

في الأول من أغسطس لهذه السنة نفسها رفع القس المسيحي الدكتور مارتن كلارك قضية في محكمة مستر "أيه. إي. مارتينو" قاضي محافظة أمرتسر قال فيها: "قد أرسل مرزا غلام أحمد لقتلي شخصًا يُدعى عبد الحميد"، فأصدر نائب الحاكم أمرًا باعتقال

المسيح الموعود منذ البداية، ولكنه علم فيما بعد أن الأمر يخرج عن نطاق سلطته لوجوده عليه السلام في محافظة أخرى، فانتقلت القضية إلى محكمة قاضي محافظة غورداسبور الذي كان اسمه "إم. دبليو. دوغلاس" الذي تقاعد من رئاسة المفوضية في جزر إنديمان، ويقيم حاليًا في الولايات المتحدة.

صرح عبد الحميد أمام هذا القاضي بأن حضرته قد أرسله لقتل مارتن كلارك برميه بحجر كبير. ولكن ثار الشك عندما انكشف أمام القاضي تناقض بين إفادته التي أدلى به أمام القاضي في أمرتسر وبين ما أدلى به الآن أمامه، فأخذ يبحث في القضية بكل جدّية وتحرٍّ، ثم أصدر قرارًا بالبراءة في القضية بعد أربع جلسات تمّت خلال ٢٧ يومًا، ومع أن الفريق الثاني كان جماعة مسيحية، إلا أن القاضي قرّر لصالح المسيح الموعود عليه السلام بلا أدنى تعصب، وبرّأ ساحته وسمح له بأن يرفع قضية ضد معارضيه هؤلاء، إلا أن حضرته عفا عنهم ولم يرفع أية قضية ضدهم. وكتب هذا القاضي في قراره:

"عند سماعنا بيانَه (أي عبد الحميد) عدَدْناه بعيدًا عن العقل، لأن بيانه الذي أدلى به أمامنا كان مختلفًا عما صرّح به أمام قاضي محافظة أمرتسر، إضافة إلى ذلك كانت حالته الظاهرية تثير شكوكًا حول

مصداقية كلامه، ثانيًا: لاحظنا في إفاداته أمرًا غريبًا آخر وهو أن إفادته تصير مفصلة وطويلة كلما طالت فترة مكوثه عند العاملين في الإرسالية التبشيرية المسيحية في بطاله. فقد أدلى بإفادته في ١٢ آب/ أغسطس وزادت تفاصيل شتى في إفادته التي أدلى به في اليوم التالي أي في ١٣ آب/ أغسطس. فمن هنا نشأت عندنا شكوك أن أحدًا يعلّمه، أو أنه يعرف أمورًا ومعلومات كثيرة أخرى ولا يريد أن يبوح بها، لذلك أمرتُ ضابط الشرطة - الذي كان أوروبيًا - أن يخرجه من المركز المسيحي ويتحفظ عليه ثم يأخذ منه إفادته.

فأخرجه من المركز المسيحي، ولما أخذ منه إفادته بعد يوم واحد من تحفظه عليه، سقط على قدميه دون أن يشترط العفو عنه مقابل كشفه الحقيقة[11] وقال: لقد تم تخويفي وتلقيني ما قلته أمامكم. إنني

[11] لا يزال يحدث ذلك في المحاكم الهندية بخصوص الجرائم التي يكون لمجموعة من الأشخاص ضلع فيها، فيشترط أحد المجرمين أحيانًا العفوَ عنه مقابل كشفه حقائق الجريمة وذكر أسماء المشاركين فيها، ويسمى هذا الشخص في اللغة القانونية هناك بالشاهد الموعود بالعفو عنه، أو "الشاهد الملك"، ويعني ذلك أنه رضي بالاعتراف بالجريمة والبوح بجميع تفاصيلها والإبلاغ عن المجرمين الآخرين المتورطين فيها بشرط أن يعفى عنه ويطلق سراحه، وكثيرًا ما يُقبل هذا الأمر في القضايا الشائكة. وذُكر هنا أن عبد الحميد ذكر جميع تفاصيل جريمته دون أن يشترط شيئًا كهذا، مما يعني أنه كان قد سئم من

سئمت من حياتي وكنت على وشك الانتحار بسبب هذا الأمر. وكل ما ذكرته ضد السيد المرزا إنما ذكرته بناء على تلقيني ووفق مكيدة دبرها المسيحيون وهم: عبد الرحيم، ووارث الدين، وبريم داس. لم يرسلني السيد مرزا لقتل أحدٍ ولا علاقة لي به.

وباختصار، قال: إذا واجهتُ صعوبة في إفادتي في يومٍ ما كانوا في اليوم التالي يلقّنونني أمورًا لتدارك الصعوبة والخطأ. كما أنني لا أعرف مريد المرزا الذي قلت بأنه كان سيؤويني عنده بعد تنفيذ جريمة القتل، لم أسمع اسمه أيضا، إلا أنهم حفّظوني اسمَه وعنوانَه، بل كتبوه على راحة يدي بالقلم وقالوا لي إذا نسيت اسمه فاقرأه من راحةِ يدك. وقال أيضا: عندما كتبت بيانًا ضد مرزا المحترم قال هؤلاء المسيحيون فرحين: تحققتْ أمنيتُنا اليوم. (أي سننجح الآن في إيقاع مرزا في الفخ)." (باختصار من كتاب البرية، الخزائن الروحانية، ج١٣، ص ٢٩٢- ٢٩٣)

فلما سمع القاضي هذه التفاصيل برّأ ساحة المسيح الموعود. وقد كان معارضوه واثقين من نجاح هذه القضية لدرجة أن محاميًا من

الحياة لكثرة ما كذب على حضرته بتحريض من المسيحيين، فأراد أن يكشف الحقيقة بسرعة قبل فوات الأوان. (المترجم).

الهندوس الآريا قد تابع القضية من جانب المسيحيين مجانًا، كما جاء بعض المشايخ المسلمين أيضا للإدلاء بشهاداتهم ضد المسيح الموعود. باختصار، قد شن المسيحيون والهندوس والمسلمون هجمة موحّدة على حضرته واستخدموا في ذلك طرقًا غير شرعية أيضا، ولكن الله تعالى قد وفق القاضي دوغلاس، فتحلىّ بالشجاعة أكثر من بيلاطس بحيث قال عند كل خطوة: لا يسعني التصرف غير العادل، فلم يتصرف كبيلاطس بحيث غسل يديه وسلم المسيح الموعود إلى أعدائه، بل برّأ ساحته، وهكذا ثبت تفوق الحكومة البريطانية أيضا على الحكومة الرومية.

في تلك الأيام نفسها نشر المسيح الموعود إعلانًا بعنوان: "الصلح خير" وقدّم أمام العلماء المسلمين غير الأحمديين اقتراحًا أن يكفوا عن معارضتهم له ويتركوه وشأنه ليتصدى لأعداء الإسلام، وعيّن مدة عشر سنوات وقال: لو كنت كاذبًا فسأهلك خلال هذه المدة، وإن كنت صادقًا فستنجون بهذه الطريقة من العذاب الذي يترل من الله تعالى نتيجة معارضة الصادقين، ولكنهم لم يقبلوه، وبدلا من تصديهم لأعداء الإسلام شنوا حربا على المسلمين أنفسهم.

أحد الأسفار المهمة

في تشرين الأول/ أكتوبر ١٨٩٧ اضطر المسيح الموعود للسفر إلى "مُلْتان" للإدلاء بشهادة. فلما رجع بعد الشهادة مكث عدة أيام في لاهور. وكلما مرّ من أي زقاق ثار عليه الناس وصخبوا وكالوا له الشتائم وأخذوا ينعتونه بنعوت قذرة. كان عمري آنذاك ثماني سنوات وكنت أيضا معه أثناء هذا السفر، فلم أكن أفهم سبب هذه المعارضة الشديدة له، لذلك كنت أتعجب جدًّا أنه لا يمرّ عليه السلام من مكان إلا وكان الناس يقومون بالمكاء والتصدية خلفه. وأتذكر أحدَهم.. كانت قد قُطعت إحدى يديه فلفّ ساعدَه بالقماش - ولا أدري ما إذا كان بها جُرحُ قطعِ اليدِ أم جرحٌ جديدٌ آخر تعرّض له - كان هذا الشخص أيضا من بين الناس المصفقين والمصفّرين، وكان يقف على درج مسجد "وزير خان" ويضرب بيده المقطوعة على الأخرى ويثير ضجة مع الناس قائلا باللغة البنجابية: لقد هرب مرزا من الميدان. كنت مندهشًا من رؤية هذا المشهد، وكانت حيرتي شديدة تجاه تصرف ذلك الشخص لدرجة ظللتُ أنظر إليه من خلال نافذة السيارة لمدة طويلة. على أية حال، بعد أيامٍ رجع المسيح الموعود من لاهور إلى قاديان.

انتشارُ الطاعون في البنجاب
وأخذُ المسيح الموعود للتدابير الاحتياطية

في هذه السنة نفسها تفشى الطاعون في البنجاب. وكان جميع رجال الدين يعارضون التدابير الاحترازية التي أوصت الحكومةُ الشعبَ باتخاذها من أجل مكافحة الطاعون، إلا أن المسيح الموعود أيّدها بشدة وأخبر جماعته بأنه ليس من حرج في اتخاذها، بل إن اتخاذ جميع التدابير المتعلقة بالمحافظة على الصحة لهو من أحكام الإسلام. وكانت هذه مساهمة كبيرة من قبله في ترسيخ الأمن العام في البلاد. لأنه كان يُشاع في ذلك الوقت بين الناس أن الحكومة نفسها تعمل على نشر الطاعون، وأن التدابير الاحتياطية التي قدمتها من أجل الوقاية من الطاعون إنما هي كفيلة بنشر هذا الوباء على نطاق واسع وأنها مخالفة للإسلام. لذلك كان العلماء قد أصدروا فتاوى صارمة وقالوا إنه من المعصية الكبرى الخروج من البيت أيام تفشي الطاعون، وهكذا سببوا هلاك الألوف من الناس. فـإذا وزعت الحكومة حبوبًا لقتل الفئران حسِبها العلماء مسببة لتفشي الطاعون، وإذا قدمت المصائدَ اعترضوا عليها أيضا. باختصار، أثيرت الفتن لدرجة شُنت هجمات على بعض موظفي الحكومة

أيضا، وفي مثل هذه الأوضاع كان إعلانه هذا وعملُ جماعته سببًا في هداية كثير من الناس. لقد أخبر عليه السلام المسلمين أن الخروج من البيت والابتعاد عن القرية ليس ممنوعًا في الإسلام، بل الممنوع هو التوجه إلى مدن أخرى، لأن فيه مظنة نقل المرض إليها.

المسيح الموعود يرسل مذكرة إلى الحكومة عن قانون الفتنة ويقدم مقترحاته

كانت الأوضاع تتحول إلى أخطر ما يكون جرّاء المناظرات الدينية في تلك الأيام ولاسيما في سنتَي ١٨٩٧ و١٨٩٨ حيث كان قد بلغ عداء الفئات الدينية أشدّه، فاستغل الساسة المفسدون هذا العداء الديني ولجّوا في تأليب الناس ضد الحكومة. ولقد فطنت الحكومة لهذا الأمر فأصدرت قانون الفتنة في عام ١٨٩٧، ولكن على الرغم من ذلك ظلتْ أوضاع الهند تتحول من الأمن إلى الفساد ولم تكن هناك نتيجة جيدة تُذكَر لهذا القانون، وكان السبب هو أن الهند دولة متدينة ولم يكن أهلها يثورون أو يتحمسون للأمور السياسية بقدر ما كانوا يتحمسون للأمور الدينية. لم يكن القانون المذكور مكافحًا للمخاصمات الدينية ولم تكن الحكومة آنئذ تستشعر أهمية ذلك. وما لم يدركه المسؤولون في الحكومة كان

المسيح الموعود عليه السلام يُدركه ويراه وهو جالس في زاوية منعزلة. فقد أعد عليه السلام في سبتمبر ١٨٩٧ مذكّرة وأرسلها إلى "اللورد إيلجن" نائب الملك في الهند، كما نشرها أيضا، وأخبر فيها صاحب السعادة نائب الملك أن منشأ الفساد والفتن الراهنة هي الخصومات الدينية، لأن بعض الأشرار يستغلون الغيظ الناتج عن هذه الخصومات للتحريض ضد الحكومة. لذلك لا بد أن تُضَم إلى قانون الفتنةِ القسوةُ الكلامية أيضا في النقاشات الدينية. وقد قدم لذلك ثلاثة مقترحات:

١- يجب أن يُسنّ قانونٌ يسمح لأتباع جميع الأديان أن يذكروا مزايا دينهم كما شاءوا، ولكن لا يُسمح لهم أن يتهجّموا على الأديان الأخرى. لن تتأثر الحرية الدينية بهذا القانون كما لن يؤدي ذلك إلى المحاباة لدين ما، ولن يبدي أتباع أي دين من الأديان عدم رضاهم بهذا القانون لأنه لم يسمح لهم بشنّ هجمات على الأديان الأخرى.

٢- إن لم يكن هذا الاقتراح مقبولا عندكم فأقلّ ما تفعله الحكومة هو أن تمنع أتباع جميع الأديان من مهاجمة دينٍ على شيءٍ موجود في دينهم هم أصلا. أي أن لا يعيب أحدٌ شيئًا في أديان أخرى إن كان موجودًا في دينه هو.

٣- وإن لم يكن ذلك أيضا مقبولا فعلى الحكومة أن تطالب كل فرقة دينية بإعداد قائمة لكتبها المعترف بها عندها، ثم تسنّ قانونًا بعدم الاعتراض على ديانةٍ بناء على أي شيء أو معتقد يُنسَب إليها وهو خارج تلك الكتب. لأنه إذا كانت الاعتراضات تتأسس على الظنون والروايات المختلقة التي لا يعترف بها أهلُ دينٍ من الأديان، فلن تُسفر إلا عن الأحقاد والضغائن والعداوات.

لو عملت الحكومة بهذا الاقتراح في حينها لما نشأت الفتن وأعمال الفساد التي حدثت في الهند منذ البداية، إلا أن الحكومة لم تشعر بضرورته، ولم تتبصّر القوةَ المتفاقمة لتلك الجراثيم التي رآها نبي هذا العصر في بداياتها. ولكن بعد عشر سنوات من هذا الحادث اضطرت الحكومة إلى سن قانون في عام ١٩٠٨ يمنع التهجّم على الديانات الأخرى وأتباعها والإساءة إليهم واستخدام القسوة ضدهم، وإنْ أساء أحد أو تهجّم واستخدم القسوة في مقال أو كتاب ضد الأديان الأخرى، فيجب أن تُفرض كفالة مالية على دار الطبع والنشر لذلك المقال أو الكتاب، ويجب أن تُصادر هذه الكفالة عند تكرار المخالفة. ولكن هذا القانون قد صدر بعد مدة طويلة مما أفقّدَه التأثير الذي كان مرجُوًّا منه لو صدر في وقته. فلقد كان أصل الفتن كلها في الهند

يكمن في الخصومات الدينية التي كان الأشرار يكيدون بها ضد الحكومة، لأنه إذا تعرّض أثمن وأحب شيء عندهم - وهو دينهم - للقسوة والكلمات القذرة، فهذا كان يكفي لبث الظنون السيئة في نفوس أتباع هذا الدين، فكانوا يقولون: إن الحكومة مسؤولة عن كل هذا الذي يعرّضنا للظلم والاضطهاد. وكانت النتيجة أن الناس يتركون الظالمَ ويصبون جام غضبهم على الحكومة المحسنة.

كتاب مشين

في عام ١٨٩٨ نشر أحد المرتدين المسيحيين كتابًا مشينًا[١٢] ضد أزواج النبي ﷺ أوغر صدور المسلمين. لقد ارتأى المسيح الموعود عليه السلام أن هذا الأمر سيؤثر على أمن البلد. فبدأت مؤسسة دينية من لاهور[١٣] بإعداد مذكرة تطالب الحكومة بمصادرة هذا الكتاب، ولكن المسيح الموعود نهاهم ناصحًا إياهم بأن تلك المذكرة لن تأتي بنتيجة تذكر، وأشار عليهم بإعداد ردٍّ مفحم على هذا الكتاب. ولكن مع الأسف لم يقدُر أهل تلك المؤسسة هذه المشورة حقّ

---

[12] نشر هذا الكتاب أحد المرتدين عن الإسلام وهو الدكتور أحمد شاه المسيحي، بعنوان: "أمهات المؤمنين". (الناشر)

[13] هي مؤسسة "أنجمن حماية الإسلام بلاهور". (الناشر)

قدرها، ثم أنهم اضطرّوا إلى العمل بما قاله عليه السلام في النهاية. لقد عارض المسيح الموعود علنًا هذه المذكرة، لأن أقصى ما كانت ستؤدي إليه - في حالة الموافقة عليها - إثبات ضعف الإسلام وعدم قدرته على الدفاع عن نفسه، لذلك فقد فضّل عليه السلام طريق الردّ بالقلم. لقد احترمت الحكومة مذكرته[١٤] عليه السلام ونظرت إليها بنظرة التقدير، وهكذا نجح في صون الحق المشروع للمسلمين في تبليغ الإسلام والردّ على من يكتب ضد دينهم.

جمع شمل الجماعة وإخفاق المعارضين

في هذه السنة نفسها أوصى المسيح الموعود أفراد الجماعة بالزواج من بنات الجماعة - توثيقًا لأواصر التلاحم والتآخي وحفظًا للجماعة - ووصى الآباء ألّا يزوّجوا بناتهم من غير الأحمديين.

وفي هذه السنة نفسها دعا عليه السلام الجماعة لرؤية آيات على صدقه.

---

14 لقد أرسل المسيح الموعود عليه السلام في ١٨٩٨/٥/٤ هذه المذكرة إلى حاكم البنجاب، وقد قال فيها: لقد وُزعت ألف نسخة من هذا الكتاب بين المسلمين مجّانا، وهكذا تم تجريح مشاعرهم، فلا معنى الآن لمصادرته، ولقد ألف القسس مئات الكتب المماثلة وجرحوا بها مشاعر المسلمين، لذلك يجب إصلاح هذا الطريق الخسيس للنقاشات الدينية، وينبغي منع الناس بحكم القانون من مثل هذا التجريح واستخدام الكلمات القذرة. (الناشر)

كان حضرته يهدف إلى تبليغ دعوته إلى عمال الحكومة أيضا وقد تحقق ذلك بأحسن صورة بفضل الله تعالى.

في عام ١٨٩٨ وضع عليه السلام حجر أساس المدرسة الثانوية، لكي يتوافد الطلاب الأحمديون من جميع الأطراف ويدرسوا فيها ولكي يكونوا في منأى عن التأثير السيئ الذي قد يتعرضون له في المدارس الأخرى. كانت هذه المدرسة تضم في البداية صفوف المرحلة الابتدائية، ثم أخذت تتطور حتى اشترك طلابها في عام ١٩٠٣ في امتحانات الثانوية أيضا.

في عام ١٨٩٩ أيضا رفع ضده معارضوه في المحكمة قضية تتعلق بالإضرار بأمن المجتمع، إلا أنهم مُنُوا فيها بهزيمة نكراء ولقوا الخزي والهوان، وكان النجاح حليف المسيح الموعود عليه السلام.

وفي عام ١٩٠٠ أقام عليه السلام الحجة على الديانة المسيحية مرة أخرى، إذ وجه الدعوة إلى أسقف لاهور للخروج من أجل عقد مناظرة عامة. ومع أن الجرائد المرموقة في البلد قد ألحت على الأسقف المذكور ليقبل التحدي، إلا انه لم يخرج للمقابلة.

تسمية الجماعة بالجماعة الإسلامية الأحمدية

كان الإحصاء السكاني متوقعًا في عام ١٩٠١، لذلك نشر المسيح الموعود عليه السلام في أواخر العام إعلانًا لأفراد جماعته أوصاهم فيه أن يسجلوا أنفسهم باسم المسلمين الأحمديين، وبهذا فقد ميّز جماعته في هذه السنة عن المسلمين الآخرين.

قضية الجدار

في هذه السنة نفسها أقام بعض أقاربه المعارضين جدارًا أمام باب المسجد الأقصى ليؤذوه وأفرادَ جماعته، مما أدى بالمصلين إلى تحمّل كثير من المشقة والحرج، إذ اضطروا إلى التفاف طويل كي يصلوا إلى المسجد. فعندما أصر المعارضون على فعلهم هذا ولم يرضوا بهدم الجدار اضطر عليه السلام إلى رفع القضية في المحكمة في تموز/ يوليو ١٩٠١، وأصدرت المحكمة قرارها لصالحه في شهر آب/ أغسطس من السنة نفسها، فهُدم الجدار وحُمّل معارضوه عليه السلام نفقات القضية أيضا، إلا أنه عليه السلام قد عفا عنهم ولم يقبض منهم شيئًا.

صدور مجلة مقارنة الأديان
(ريفيو أوف ريليجنز)

في عام ١٩٠٢ أمر المسيح الموعود ﷺ بإصدار مجلة شهرية من أجل نشر رسالة الإسلام في الغرب، ولا زالت هذه المجلة تصدر بفضل الله تعالى باسم "ريفيو أوف ريليجنـــز" أي مقارنة الأديان. كان يصدر منها عددان شهريًا؛ عددٌ بالإنجليزية وآخر بالأردية، ويتم بواسطتها نشر دعوة الإسلام في أوروبا وأميركا بأحسن ما يرام، وقد أثنى الجميع حتى الأعداء على مقالاتها القوية. في البداية كان المسيح الموعود ﷺ يرسل مقالاته للنشر فيها هو وبعض أفراد الجماعة، فتكتب بالأردية وتنشر كذلك مترجمة في العدد الإنجليزي، وكانت هذه المقالات تؤثر في القراء أيما تأثير، وهو ما أدى إلى رفع مكانة المجلة في السنة الأولى من صدورها.

الخطبة الإلهامية

في هذه السنة نفسها وفي يوم عيد الأضحى، ألقى المسيح الموعود ﷺ خطابًا ارتجاليا باللغة العربية. لقد انتابته أثناء الخطبة حالة عجيبة؛ حيث احمرّ وجهه، وكان النور يشعّ منه، وكانت الهيبة

تترشح من محياه، وبدا وكأنه في حالة شبيهة بالغفوة. إن لغة هذا الخطاب لطيفة وبليغة وعديمة النظير لدرجة لم يستطع أن يأتي بمثلها كبار الأدباء الناطقين بلغة الضاد، وقد حوى هذا الخطاب حقائق ومعارف عظيمة تحيّر العقول. لقد نشرت هذه الخطبة بعنوان: "الخطبة الإلهامية"، وهي كلّها باللغة العربية.

اتخاذ الأسباب من أجل ترويج اللغة العربية

في هذه الفترة نفسها قدّم المسيح الموعود عليه السلام طريقة لطيفة لتعليم أفراد الجماعة اللغةَ العربية، فكتب سلسلة من جمل باللغة العربية الفصيحة والسهلة ليحفظها أفراد الجماعة فيمتلكوا زمام اللغة العربية رويدًا رويدًا. وهذه الجمل تتعلق بأمور يومية يحتاج إليها الإنسان، كما كانت تحتوي على أسماء وأفعال يحتاج الإنسان إلى استخدامها دوما. لقد كتب عليه السلام دروسا من هذه السلسلة، ولكن بعد ذلك لم يستطع مواصلتها بسبب انشغاله في أعمالٍ أكثر أهمية. على أية حال كان قد دلّ جماعته على طريق يؤدي بها إلى مراقي الفلاح. كان عليه السلام يريد أن تكون اللغة العربية أيضا بمنــزلة اللغة الأم لكل بلد إضافة إلى لغته، وكان يريد أن يتعلمها الأحمديون رجالا ونساء حتى يسهل على الأجيال القادمة تعلّمها. لا يمكن أن يقوم الإسلام على

أصوله بصورة صحيحة دون تحقق هذه الإرادة التي أبداها المسيح الموعود، لأن الأمة التي لا تعلم لغة دينها لا تستطيع أن تعرف دينها بصورة سليمة، والأمة التي لا تعرف دينها فلا يسعها أن تكون في منأى عن هجمات أعداء دينها، وإن الأمم التي تعتمد على التراجم من أجل فهم دينها لا تعرف دينها ولا يسلَم كتابها المقدس، لأن الترجمة تستدرج أبناءها وتصرفهم عن مطالعة الكتاب الأصلي. وبما أن الترجمة لا يمكن أن تحل محل الكتاب الأصلي، فإن تلك الأمة أو الجماعة تظل تبتعد عن التعاليم الأصلية رويدًا رويدًا. إن الجماعة أخذت تهتم بهذا الأمر من أجل تحقيق إرادة المسيح الموعود عليه السلام، وستنجح في هذه المهمة يومًا ما.

تأسيس منارة المسيح

لقد ورد في بعض النبوءات أن المسيح يترل عند منارة بيضاء شرقي دمشق، أراد المسيح الموعود عليه السلام أن تتحقق هذه النبوءة حرفيا كما تحققت رمزيا؛ ففي هذه السنة قام بتأسيس منارة. مع أن المعنى الحقيقي لهذه النبوءة هو أن المسيح الموعود سيأتي بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة، وسيظهر جلاله على العالم كله وسيحرز نجاحًا باهرًا، لأن المراد من المنارة في علم تعبير الرؤيا هو

الأدلة التي لا يمكن إنكارها، والمراد من كون أحد على مكان مرتفع هو إحرازه مرتبة لا تكون خافية على أحد، والمراد من مجيء أحد من ناحية الشرق هو الرقي والازدهار الذي لم يكن لأحد منعَه ولا يسع أحد الحيلولة دونه.

قضية "كرم دين"

في أواخر عام ١٩٠٢ رفع شخص يُدعَى "كرم دين" قضية قذف جنائية ضد المسيح الموعود ؑ، فصدر الأمر بحضور المسيح الموعود المحكمةَ في "جهلم"، فسافر إلى هناك في كانون الثاني/ يناير ١٩٠٣، وكان هذا السفر آيةً على بداية نجاحاته. كان ؑ ذاهبًا للاستجواب في المحكمة في قضية معينة، ومع ذلك كان الناس قد ازدحموا بأعدادٍ هائلة. فلما نزل في محطة القطار في "جهلم" كان الناس قد احتشدوا لدرجة أنه لم يبق في محطة القطار مكان خالٍ، كما أن الناس قد اجتمعوا على حافتي الشارع العام خارج المحطة أيضا لدرجة أنْ صعب مرور السيارة من بينهم، واضطر المسؤولون الحكوميون في المحافظة إلى اتخاذ إجراءات خاصة من أجل السيطرة على الوضع، وعُيّن السيد غلام حيدر رئيس المديرية لإنجاز هذه المهمة الخاصة. فرافق حضرتَه في السيارة، واستطاع بصعوبة بالغة

شقَّ طريق لمرورها، لأن الناس كانوا مجتمعين على أطراف الشوارع من المحطة إلى المدينة. كان الناس قد توافدوا من المدينة ومن القُرى أيضا من أجل زيارة المسيح الموعود عليه السلام. لقد بايع هنالك قرابة ألف شخص، فلما حضر عليه السلام المحكمة كانت جموع غفيرة من الناس قد جاءت للاستماع إلى مجريات القضية، حتى عسر على المحكمة توفير المكان لهم. كان الناس يملأون المحكمة والميدان المجاور لها. لقد بُرّئت ساحته عليه السلام في المثول الأول في تلك المحكمة، وهكذا رجع بالخير والعافية.

ازدهار الجماعة وطول قضية كرم دين

منذ عام ١٩٠٣ بدأ ازدهار الجماعة ورقيها بصورة مذهلة جدًّا، إذ كان عليه السلام يتلقى في يوم واحد أحيانًا نحو خمسمائة رسالة بيعة. وهكذا ازداد عدد أتباعه حتى وصل إلى مئات الألوف. لقد بايع على يده أناس من مختلف شرائح المجتمع، وأخذت هذه الجماعة تنمو وتزدهر وتنتشر بسرعة فائقة، ثم بدأت تنتشر في أقاليم أخرى غير البنجاب، بل في بلاد أخرى غير الهند أيضا.

في هذه السنة نفسها فُجعتْ الجماعة الإسلامية الأحمدية بحادثة أليمة، إذ استُشهد أحد الأعضاء الورعين والصالحين من هذه الجماعة رجمًا نتيجة المعارضة الدينية.

إن سلسلة القضايا التي بدأت في "جهلم" وانتهت في الظاهر، قد تجددت مرة أخرى، أي أن "كرم دين" الذي رفع قضية ضد المسيح الموعود في "جهلم" جاء إلى "غورداسبور" ورفع تلك القضية الجنائية هناك مرة أخرى. ومما يثير الحيرة والعجب أن القضية قد طالت كثيرًا. لقد تم تغيير أحد القضاة خلال هذه القضية، كما كانت مواعيد النظر بالقضية تُحدَّد في فترات متقاربة جدًّا لدرجة أن اضطر عليه السلام للإقامة في غورداسبور لمتابعة القضية.

لقد طُوّلت هذه القضية جدًّا، ودار النقاش فيها حول ثلاث أو أربع كلمات فحسب. كان "كرم دين" قد تعمّد الكذب الصريح ضد المسيح الموعود عليه السلام، فكتب عنه عليه السلام في كتابه أنه كذّاب، وهو لفظ يطلق في اللغة العربية على الكاذب وعلى كثيرِ الكذب أيضا، كذلك كتب عنه أنه "لئيم"، وهي لفظة تطلق على الخسيس وعلى ولد الزنا أيضا. فكان أساس دفاع كرم دين أنه لم يكذب إلا مرة واحدة، ولكن المسيح الموعود نعته بالكذّاب وبولد الزنا أيضا.

بدأ التحقيق في القضية ونشأت بعض الأسئلة الدقيقة الأخرى، وأثيرت حولها بحوث طويلة أدت إلى امتداد عُمر هذه القضية إلى سنتين. وقد اشتهر عن أحد القضاة خلال هذه القضية أن بعض الأفراد من دينه ألحّوا عليه قائلين: إن مرزا قد وقع في الشراك الآن، فأصدِر الأمر بعقابه ولو بسجن يوم فحسب. فلما أتى بعضُ من سمع هذا القول إلى المسيح الموعود وذكروا له هذا الأمر بقلق وخوف شديد، كان عليه السلام مستلقيًا في ذلك الوقت، فنهض عندما سمع هذا الأمر واحمرّ وجهه فجلس وقال: هل يريد أن يبسط يده إلى أسد الله تعالى؟ إذا فعل ذلك فسيرى مصيره. لا نعرف إذا كان الخبر الذي نُقِل إلى حضرته صحيحًا أم ملفقًا، إلا أن الذي حدث على صعيد الواقع هو أنه تم نقل ذلك القاضي في تلك الأيام نفسها، وسُحبت منه جميع صلاحياته، ثم نُزِّلت رتبته بعد فترة. ثم قُدّمت هذه القضية بعد ذلك أمام قاض آخر، وهو الآخر طوّل فيها كثيرًا، ومع أن المسيح الموعود عليه السلام كان ينال كرسيًا للجلوس في محكمة قاضي المحافظة، غير أن هذا القاضي لم يعطِه الكرسي رغم مرضه الشديد، ولم يسمح له في بعض الأحيان بشربِ الماء رغم العطش الشديد. وبعد أن دامت القضية فترة طويلة جدًّا أُصدِر القرارُ بتغريم

المسيح الموعود مائتي روبية. فتم الاستئناف عند "مستر هيري" قاضي الاستئناف في أمرتسر الذي كان أوروبيا. فلما نظر إلى مجريات القضية تأسف تأسفًا شديدًا لطول هذه القضية التافهة، وقال: لو عرضت هذه القضية أمامي لشطبتها في يومها الأول. ولو استُخدمتْ في حق شخصٍ مثل "كرم دين" كلماتٌ أقسى مما ذكرها السيد مرزا لكان صوابًا، فقد حصل ما لم يكن مناسبًا البتة. على أية حال، لقد برّأ هذا القاضي ساحة المسيح الموعود عليه السلام خلال ساعتين وألغى الغرامة أيضا، وهكذا للمرة الثانية قد أثبت الحاكم الأوروبي بعمله أن الله تعالى يعطي الحُكمَ لمن يكون أهلاً له.

لقد صدر قرار هذه القضية في يناير ١٩٠٥، وهكذا تحقق الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى المسيح الموعود قبل سنوات عديدة وكان يتعلق بعاقبة هذه القضية.

لقد تخطّيت ذكر سفرَين مهمَّين للمسيح الموعود من أجل حصر مجريات القضية المذكورة في مكان واحد؛ أحدهما سفره إلى لاهور في شهر آب/ أغسطس من عام ١٩٠٤، حيث أقام هناك خمسة عشر يومًا توافد الناس فيها من كل حدب وصوب لزيارته حتى لم يبق في محطة القطار مكان لوقوف الناس، وأخذ الناس ينشرون خبر

وصوله إلى لاهور ويزدحمون خارج مكان إقامته صباح مساء. كان المعارضون يأتون ويشتمون ويثيرون الضجة، حتى أن بعض الأشرار حاولوا اقتحام البيت الذي كانت النساء يُقِمْن فيه، فأُبعِدوا عنه قسرًا. وتعيّنَ بناءً على طلب الإخوة من جماعة لاهور أن يكون للمسيح الموعود خطاب في قاعة عامة، فنُشر إعلان بذلك، وألقى المولوي عبد الكريم السيالكوتي هذا الخطاب على مسامع سبعة أو ثمانية آلاف من الناس في قاعة واسعة، بينما كان عليه السلام جالسًا على مقربة منه. بعد نهاية هذه الكلمة التمس الناس من المسيح الموعود أن يخطب فيهم هو أيضا. فوقف عليه السلام وألقى خطابًا مختصرًا لنصف ساعة تقريبًا.

كان قد صار معروفًا إلى ذلك الوقت أنه حيثما توجّه عليه السلام أظهر أتباع جميع الأديان والملل -ولا سيما المسلمين- معارضتهم له، ولذلك كانت الشرطة تتخذ الإجراءات المناسبة، وإلى جانب أفراد الشرطة المحليين كان يحضر بعض عناصر الشرطة الأوروبيين، وكانوا يقفون على مسافات متقاربة حاملين بأيديهم السيوف. ولما علمت الشرطة أن بعض الأشرار والجهلاء يريدون أن يعيثوا فسادا خارج مكان هذا الاجتماع، قامتْ بوضع خطة خاصة لعودة حضرته إلى

البيت، فتقدمت سياراتهم سيارة المسيح الموعود، وكان خلفها بعض عناصر الشرطة الراكبين، ويليهم بعض أفراد الشرطة من المشاة، وهكذا تحت حراسة مناسبة بلّغوا المسيح الموعود عليه السلام بيته و لم يفلح الكائدون.

لقد عاد عليه السلام من لاهور إلى غورداسبور، ففرغ من قضايا المحاكم ثم عاد إلى قاديان في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٠٤. وفي ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر سافر إلى سيالكوت لأن الإخوة هناك التمسوا منه بكل إلحاح قائلين: لقد قضيت هنا سنوات عديدة من شبابك فنرجو أن تشرّف هذه الأرض بزيارتك مرة أخرى بعد أن وفقك الله تعالى لإحراز هذا النجاح العظيم. وكان هذا السفر بدوره دليلا بيّنا على نجاحه عليه السلام لأن الناس احتشدوا في محطة القطار من أجل زيارته لدرجة أن صعب على المسؤولين تدبير أمورهم، ولما وصل إلى لاهور اندفعت جماهير هائلة، فحجزوا كل تذاكر الدخول المتوفرة في المحطة، واضطر مدير المحطة إلى أن يسمح للزائرين بالدخول دون تذاكر. وصل عليه السلام إلى محطة سيالكوت وكان مكان إقامته فيها يبعد عنها ميلا تقريبا، وكان الطريق مليئًا بالناس. وصل القطار إلى المحطة مساء ثم استغرق ركوب السيارات بعض الوقت،

وما أن مشت سيارته مسافة قليلة جدًّا حتى حل ظلام الليل، فخيف على الناس أن تدهسهم السيارة جراء ازدحامهم، فاضطرت الشرطة إلى اتخاذ إجراءات خاصة من أجل إخلاء الطريق أمام سيارة المسيح الموعود، وقد تولّى أحد رؤساء سيالكوت مع ضابط الشرف في الشرطة هذه المهمة، وكانا يواجهان مشكلة كبيرة في إخلاء الطريق، مما أبطأ سير السيارة التي كانت نوافذها مفتوحة، وَصَفّ الناس على جانبي الشارع في الأسواق والأزقة، إضافة إلى ذلك كانوا قد ملأوا الأماكن الخالية أمام المحلات، ومن لم يجد مكانًا صعدَ شُرَف البيوت. كان الهندوس والمسلمون قد أضاءوا القناديل والسُرُج على سطوح بيوتهم لرؤية وجهه عليه السلام، وكانت السطوح مليئة بالنساء والرجال الذين كانوا يقرّبون القناديل بأيديهم نحو سيارته عليه السلام ليروا وجهه بمزيد من الوضوح، وبعضهم كانوا ينثرون عليه الورود والأزهار.

محاضرة سيالكوت

أقام المسيح الموعود عليه السلام في سيالكوت خمسة أيام، وإضافة إلى التبليغ - الذي قام به هناك لكل من أتى لزيارته - فقد ألقى محاضرة أيضا. وحين أُعلِن عن محاضرته قام بعض المشايخ أيضا

بإعلان نهوا فيه الناس بكل شدة عن الذهاب لسماع محاضرة المرزا، كما أفتوا بأن من يذهب لسماع هذه المحاضرة فسيبطل نكاحه، (هذه أسلحة قوية يستخدمها العلماء منذ ذلك الوقت ويُحكمون بها السيطرة على المسلمين، إلا أنه ليس عندهم أي نص صحيحٍ ولا موضوعٍ للبرهنة على قولهم). ولم يكتفوا بهذا الإعلان فقط، بل أعلن بعض المشايخ المعارضين عن محاضراتهم مقابل البيت الذي كان عليه السلام يقيم فيه، وذلك حتى لا يشترك الناس في محاضرته عليه السلام بل يقفوا خارج مكانها. كما عيّنوا بعض الناس على باب قاعة المحاضرة ليمنعوا الناس من الدخول إليها بحجة أن حضور هذه المحاضرة إثمٌ. وبعضهم قد ازدادوا في المعارضة إلى درجة أنهم كانوا يمسكون بالناس ويجرونهم بعيدا. ولكن مع كل ذلك حضر الناس بكثرة. ولما سمعوا أنه عليه السلام دخل قاعة المحاضرة تركوا المشايخ المعارضين في مكانهم وأسرعوا إلى محاضرته، ثم أصغى الجميع لدرجة أن الموظفين الحكوميين أيضا انضموا إليهم، مع أنه لم يكن يوم عطلتهم.

ألقى المولوي عبد الكريم هذه المحاضرة على مسامع الحضور، ثم طبعت كتابًا. أراد بعض الأشرار أن يثيروا الشغب أثناء

المحاضرة، فمنعهم من ذلك ضابط الشرطة - الذي كان أوروبيا - بكل حكمة، حيث قال لهم: ما الذي يدعوكم إلى القلق من محاضرته؟ فإنه يؤيدكم ويرسخ عظمة رسولِكم، وإذا كان لأحد حق أن يغضب عليه فهم المسيحيون، لأنه يؤكد مرة بعد أخرى على وفاة إلههم (أي المسيح). على أية حال، لم تحدث فتنة بسبب حكمة وتيقّظ بعض ضباط الشرطة. وكانت إحدى مزايا هذه المحاضرة أن المسيح الموعود عليه السلام قدّم نفسه للمرة الأولى مثيلا لـــ"كَرِشْنَا" من أجل إتمام الحجة على الهندوس. فلما انتهت المحاضرة وأراد عليه السلام الرجوع إلى البيت، همّ بعض الناس أن يرشقوه بالحجارة، إلا أن الشرطة أحكمت سيطرها، فمنعتهم من إحداث هذه المفسدة.

رجع عليه السلام إلى قاديان في اليوم التالي من المحاضرة، وفي هذا اليوم أيضا لم تحدث أية مفسدة بسبب إجراءات الشرطة. فلما رأى هؤلاء الأشرار أنهم لم يجدوا فرصة لإيذاء المسيح الموعود، خرج بعضهم من المدينة ووقفوا قرب السكة الحديدية بعيدًا عن المدينة، وأخذوا يرمون القطار بالحجارة، ولكن لم يؤدّ ذلك إلا إلى كسر بعض زجاجه.

وفاة المولوي عبد الكريم رضي الله عنه

وأحوال السفر إلى دلهي

توفي المولوي عبد الكريم في ١٩٠٥/١٠/١١ بعد مرض دام طويلا، وكان أحد أخلص أصحاب المسيح الموعود عليه السلام ونال شرف إلقاء محاضراته في مناسبات شتى. وبعد وفاته أمر عليه السلام بفتح مدرسة عربية في قاديان يتخرج منها علماء دين الإسلام، وذلك لكي لا يحدث فراغ في الكفاءات بعد وفاة العلماء.

بعد بضعة أيام من وفاة المولوي عبد الكريم سافر المسيح الموعود إلى دلهي وأقام هناك أسبوعين تقريبًا. لم تكن دلهي هذه المرة هي تلك التي أثارت ضجة كبيرة عند دخوله إليها قبل خمسة عشر عاما، إلا أن عددًا قليلاً من الناس ظلوا يثيرون الشغب هذه المرة أيضا. لم يُلقِ عليه السلام محاضرة بين الناس، غير أنه كان يخطب يوميًا بين الذين كانوا يأتون لزيارته، وبسبب ضيق المكان لم يكن يشترك أكثر من مائتين أو مائتين وخمسين شخصًا في الاستماع إلى محاضرته مرة واحدة. لقد أثار بعض الناس ضجة يومًا أو يومين، كما حاول البعض الصعود إلى سطح البيت لمداهمته أو شن هجمة عليه، ومع ذلك كانت الأوضاع أكثر هدوءًا وأمانًا من المرة السابقة.

عند عودة المسيح الموعود من هذا السفر استضافتْه جماعة لدهيانة ليومين، وألقى هناك محاضرة بين الناس، وتم ذلك بكل خير وبركة. وبينما كان هنالك إذ وصل وفد من جماعة أمرتسر وطلبوا منه أن يقيم عندهم ليومين عند عودته إلى قاديان. قَبِل عليه السلام طلبَهم ونزل في أمرتسر عند رجوعه من لدهيانه. مدينة أمرتسر مليئة بمعارضي الجماعة، والمشايخ يتمتعون فيها بقوة كبيرة ويتفاعل الناس بإثارتهم ويثيرون الضجيج. وفي اليوم الذي كان عليه السلام يريد إلقاء محاضرته فيه، قرر المعارضون الحيلولة دونها. فلما وصل إلى قاعة المحاضرة رأى بعضَ المشايخَ اللابسين جُبَبًا طويلة ويلقون بين الناس عِظات رنّانة بتحريك الأيادي، كما رأى الناس يملأون أطراف ملابسهم أحجارًا. مع كل ذلك دخل عليه السلام قاعة المحاضرة وبدأ فيها. لم يجد المشايخ في محاضرته شيئًا للاعتراض عليه وتأليب الناس ضده. ولما مضى ربع ساعة من محاضرته عليه السلام شعر بشيء في حنجرته، فقدم له أحد الناس كوب شاي، لأن الإنسان يشعر بالارتياح في مثل هذه الحالة إذا شرب سائلاً بعد كل مدة قصيرة. لقد منعه عليه السلام بإشارة يده، إلا أن ذلك الشخص قدم الكوب نظرًا إلى تألمه عليه السلام، وما أن ارتشف منه رشفة واحدة حتى أثارت المشايخ ضجة كبيرة قائلين:

هذا الشخص ليس بمسلم، لأن الشهر هو شهر الصيام وهو ليس صائمًا فيه. قال عليه السلام ردًّا عليهم: يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).. أي أن المريض لا يصوم حتى يبرأ من مرضه، والمسافر لا يصوم حتى يعود من سفره. أما أنا فمريض ومسافر معًا. ولكن لم يؤثر ذلك في الثائرين. أخذت الضجة تتفاقم ولم تستطع الشرطة التحكم في الوضع. فارتأى عليه السلام أن يجلس ويطلب من أحد أن ينشد قصيدة. سكت الناس أثناء القصيدة، ولكن لما قام عليه السلام بعد ذلك هبَّ المشايخ فأثاروا الضجة مرة ثانية، إلا أنه عليه السلام واصل قراءة محاضرته، فعزموا على إحداث الفتنة، وبدأوا يتقدمون نحو المنصة لمهاجمته. حاولت الشرطة منعهم إلا أنها لم تستطع الحيلولة أمام تيار جارف قوامه آلاف من الناس، كانوا يتقدمون كموج البحر الذي يتقدم بسرعة نحو الأمام. فلما صعب على الشرطة الحيلولة دونهم توقف عليه السلام عن الإلقاء، ولكن لم تهدأ ثورة الناس بل أرادوا الوصول إلى المنصة ومهاجمته. فلما رأى ضابط الشرطة هذا الوضع قال لحضرته أن يدخل في الغرفة المجاورة، كما أرسل بعض عناصر الشرطة لإحضار السيارة المدرعة. ظلت الشرطة تحاول منع الناس من

الدخول إلى تلك الغرفة، حتى جاءت السيارة المدرعة ووقفت عند الباب الثاني للغرفة، فتوجه إليها حضرته عليه السلام، فلما أراد ركوب السيارة عرف الناس أنه يغادر المكان، فتقدم نحوه من كانوا واقفين أمام قاعة المحاضرة وأرادوا أن يهاجموه، وقذَفه أحدُهم بِعَصا غليظة، فتقدم أحد أتباعِه عليه السلام للحيلولة دون وصول العصا إليه، كان باب السيارة مفتوحًا في ذلك الوقت، فوقعت العصا على الباب ولم يصب هذا الشخص إلا بكدمة بسيطة. انطلقت السيارة بعد ركوب المسيح الموعود فيها، إلا أن الناس صبّوا عليها وابلا من الأحجار، كانت نوافذ السيارة مغلقة، ولكنها كانت تنفتح تلقائيًا كلما وقعت عليها الأحجار، كنا نمسك بها من الداخل ولكنها كانت تكاد أن تسقط كلما وقعت عليها الحجارة. على أية حال لم يصب أحد منا إلا أخي الصغير الذي أصابه حجر على يده من خلال إحدى النوافذ. وبما أن الشرطة كانت موجودة حول السيارة فإن أكثر الحجارة قد وقعت عليهم. أبعدت الشرطة الناس من هناك ثم مشت خلف السيارة وأمامها، بل جلس شرطي على سقف السيارة أيضا، وهكذا أوصلونا إلى البيت. كان الناس ثائرين لدرجة أنهم ظلوا

يركضون وراء السيارة إلى مسافة طويلة. وفي اليوم التالي عاد عليه السلام من هناك إلى قاديان.

النبوءة عن وفاته، نظام الجماعة، قيام مؤسسة صدر أنجمن أحمدية

تلقى المسيح الموعود عليه السلام في ديسمبر عام ١٩٠٥ وحيًا أن وفاته قريبة، فألف كتيب "الوصية" ونشره بين جماعته، وأخبر أفراد جماعته عن قرب وفاته وطمأنهم، وأعلن عن إنشاء مقبرة امتثالا لأمر الوحي الإلهي، واشترط على من يُدفن فيها أن يتبرع بعُشر أمواله وعقاراته من أجل نشر الإسلام. وكتب أيضا: لقد بشرني الله تعالى أنه لن يدفن فيها إلا من كان من أهل الجنة. ثم أقام مؤسسة من أجل تدبير أمور الأموال التي يتبرع بها الراغبون في الدفن في هذه المقبرة لنشر الإسلام. كما أنبأ عليه السلام بعد هذا أن الله تعالى سيحفظ الجماعة بعد وفاته، وسيتكفل جميع أمورها كما كان يتكفل أمور جماعات الأنبياء فيما مضى، وسيظل يُقيمُ بعضَ الناس للإشراف على الجماعة كما أقام بذلك أبا بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

كانت هناك لجان إدارية للمدرسة والمجلة تتولى الاهتمام بالضرورات التعليمية والتبليغية للجماعة حتى زمنِ نشرِ كتيب

الوصية. ثم أقام عليه السلام مؤسسة جديدة لتدبير أمور المقبرة، ولكن بناء على طلب الإخوة أقام عليه السلام في عام ١٩٠٦ - بدلا من المؤسسة المعنية بتدبير شؤون أموال الوصية — مؤسسةً عُهد إليها الإشراف على مدارس التعليم الديني والدنيوي، ومجلةِ مقارنة الأديان، و"بهشتي مقبرة" وغيرها، وهكذا بدلا من المؤسسات المتفرقة، أقام مؤسسة شاملة باسم "صدر أنجمن أحمدية".

في شهر أيلول/ سبتمبر من عام ١٩٠٧ توفي ابنه "مبارك أحمد" عن عمر يناهز ثمانية أعوام وفق النبوءة التي كانت قد نُشرت عند ولادته.

وقُدِّم في هذه السنة نفسها اقتراحٌ لإقامة فروع لمؤسسة "صدر أنجمن أحمدية" في المدن المختلفة، كما جاء رجلان وامرأة من أمريكا لزيارة المسيح الموعود، وتكلم معهم عليه السلام طويلا حول الحكمة الكامنة في البعثة الثانية للمسيح وحقيقتها؛ وحصلت في هذه السنة نفسها بعض أحداث التمرد ضد الحكومة في أرجاء البنجاب، فنصح عليه السلام جماعته بالوفاء للحكومة، وعليه فإن جماعته قد قدمت خدماتها في أماكن مختلفة من أجل تهدئة الوضع بكل إخلاص دون أن يكون لهم أغراض شخصية.

في شهر كانون الأول/ ديسمبر من هذه السنة عقد الآريا في لاهور مؤتمرًا دينيًا. ووجهوا الـــــدعوة إلى أتباع الديانات كلها، واشترطوا عدم مهاجمة الديانات الأخرى، كما تعهدوا الالتزام بذلك أيضا، والتمسوا من المسيح الموعود أن يشترك، فقال أشم رائحة الخداع من هذا الاقتراح، ومع ذلك كتب مقالا إتمامًا للحجة وأرسله ليُقرأ في هذا المؤتمر. لقد وجّه عليه السلام في هذا المقال دعوة التصالح إلى الآريا بكل جدية، وذكر فيه محاسن الإسلام ومزاياه بطريقة لطيفة ولينة. وقد شارك خمسمائة شخص من أفراد الجماعة في هذا المؤتمر بعد شراء تذاكر الدخول، ونظرًا إلى اشتراك الأحمديين اشترك المسلمون الآخرون أيضا. فلما جاء دور الآريا في المؤتمر كالوا فجأة لنبينا صلى الله عليه وسلم أقذر الشتائم واستخدموا لغة بذيئة. بقينا مستمعين بصمت دون إثارة الشغب وفق تعليم حضرته، ولم يقف أحد منا ليقول لهم بأنكم نقضتم العهد الذي التزمتم به لنا[١٥].

---

15 لقد لام المسيح الموعود عليه السلام الأحمديين الذين كانوا حاضرين ولم يغادروا المؤتمر ووبخهم، وكان على رأسهم المولوي نور الدين رضي الله عنه، وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤١). والحقيقة أن الموقف كان صعبا بلا شك على

في ١٩٠٨/٣/٢١ زار قاديان "السير وِلسَنْ" مفوض المالية في البنجاب. وبما أنها كانت المناسبة الأولى من نوعها أن يزور قاديان مسؤول حكومي كبير بهذا المنصب، فقد أمر المسيح الموعود جماعته بالخروج لاستقباله. وطلب إقامة خيمة له في مدرسة الجماعة، كما أقام على شرفه مأدبة أيضا. ولما كان المعارضون قد أشاعوا عنه عليه السلام أنه يعارض الحكومة في الخفاء، والدليل على ذلك أنه لا يقابل المسؤولين الحكوميين رغم علاقات العائلة القديمة معهم، فقد قضى المسيح الموعود على هذا الاعتراض عمليًا، إذ ذهب بنفسه للقاء مفوض المالية، وكان بصحبته سبعة أو ثمانية أفراد من جماعته. استقبل المفوضُ المذكور حضرتَه على باب الخيمة بكل تقدير واحترام، وظل يسأله عن أمور كثيرة تتعلق بجماعته، منها أمر جدير بالذكر وهو أنه في تلك الأيام نفسها تأسست رابطة "مسلم ليغ" وكان الإنجليز مسرورين بدستورها، وكانوا يعدّونها وسيلة فاعلة لتصحيح نقائص حزب "الكونغرس"، ولأجل ذلك كان بعض الحكام الإنجليز يشيرون على بعض الرؤساء للانضمام إلى "مسلم

الأحمديين؛ فمن ناحية لم يكن مناسبا أن يثيروا فتنة ويخالفوا تعليمات المسيح الموعود عليه السلام، ومن ناحية أخرى كان تقديرهم أن مغادرة المؤتمر ستؤدي إلى الظن بأنها هزيمة للإسلام. (المترجم)

ليغ". لقد ذكر مفوض المالية رابطة "مسلم ليغ" بشكل هامشي، وأراد أن يعرف رأي المسيح الموعود فيها. قال عليه السلام: لا أحب ذلك. لقد سرد مفوض المالية مزايا "مسلم ليغ"، ولكن المسيح الموعود قال: هذا الطريق خطير. قال المفوض: يجب ألا تقيسها على الكونغرس الذي تأسس في ظروف كانت تنبئ من البداية أنه سيتجاوز حدوده في المطالبة بحقوقه، أما "مسلم ليغ" فقد تأسست بأيدي أناس محترمين وتحت قوانين محترمة، بحيث لا يمكن أن تتصبّغ بصبغة الكونغرس في يوم من الأيام. فلما سمع ذلك أحد أتباع المسيح الموعود عليه السلام وهو الخواجه كمال الدين - الذي كان مؤسسا لمركز الجماعة في "ووكنغ" وهو مالك مجلة "مسلم إنديا" - أيّد السيرَ ولسن وقال: أنا أيضا عضو في "مسلم ليغ" وقد تم وضع قواعد وقوانين صارمة تضمن عدم انحرافها. ولكن المسيح الموعود عليه السلام قال ردًّا عليهما: أشمّ منها رائحة أنها أيضا ستتحول يومًا ما إلى الكونغرس، وإنني أرى التدخل في السياسة بهذه الطريقة خطيرًا جدًّا. لقد انتهى حوارهم هذا ولكن الذي يطالع الأحداث السياسية في الهند يعرف أن كلام المسيح الموعود عليه السلام قد تحقق حرفًا حرفًا.

في ٢٦ نيسان/ أبريل من تلك السنة نفسها اضطر المسيح الموعود إلى السفر إلى لاهور بسبب مرض والدتي. وتلقى -باللغة الفارسية- في الليلة التي كانت تسبق يوم سفره الوحي التالي:

مباش أيمن از بازئ روگار.

أي: لا تأمنْ صروفَ الدهر.

فقال عليه السلام: تلقيت هذا الوحي الذي يشير إلى حادثة خطيرة. في تلك الليلة نفسها مرض أخي الأصغر مرزا شريف أحمد، ومع ذلك خرجنا للسفر، فلما وصلنا إلى "بطاله" وهي المحطة القريبة لقاديان، علمنا أن القطارات لا تتوفر بعدد كاف بسبب أحداث التمرد على الحدود، لذلك لا يمكن حجز مقاعد في القطار. فاضطررنا إلى الانتظار ليومين أو ثلاثة. لقد أخبر حضرته أهلَه قائلا: تلقيتُ وحيًا مقلقًا من ناحية، ومن ناحية أخرى نواجه العراقيل في السفر، لذلك من الأفضل أن نقيم هنا في "بطاله" لبضعة أيام، وهكذا سيتغير الجو أيضا. أما العلاج، فسندعو طبيبةً إلى هنا لأجله. ولكن الوالدة أصرت على الذهاب إلى لاهور. وهكذا بعد انتظار يومين أو ثلاثة سافر عليه السلام إلى لاهور. وما أن وصل إليها حتى أثيرت ضجة فيها من قبل المشايخ، واجتمعوا كعادتهم على محاربته، وبدأوا سلسلة من

المحاضرات ضده في ميدان قريب من مكان إقامته. كانت هذه المحاضرات تبدأ يوميًا بعد صلاة العصر وتستمر إلى الساعة التاسعة أو العاشرة ليلا، وكانت تحتوي على الشتائم القذرة ضده عليه السلام. ولما كان الطريق الوحيد المؤدي إلى بيته يمر من هذا الميدان الذي تُلقَى فيه المحاضرات المذكورة، فقد كانت جماعة حضرته تتحمل مشقة وأذية كبيرة، إلا أنه قد أبلغ الجميع وأوصاهم أن يمرّوا من هناك صامتين دون التفات إليهم، لأن شتائمهم لا تغيّر شيئًا في موقفنا. كان عليه السلام ينوي هذه المرة أن يقيم طويلا في لاهور، لذلك اجتمع هناك الأحمديون من كل حدب وصوب، كما كان غيرهم أيضاً يتوافدون للقائه، مما أدّى إلى ازدحام الناس أمام بيته كل حين.

دعوة المسيح الموعود إلى أمراء لاهور وخطابه

ولما كان أمراء الهند - بل أمراء العالم كله تقريبًا- من الغافلين عن الدين نسبيًا، فقد ارتأى المسيح الموعود أن يُسمعهم شيئًا، فوجّه إليهم دعوة عن طريق أحد الأمراء غير الأحمديين يُكنّ لحضرته تقديرا واحتراما كبيرين، ثم ألقى خطابًا في دعوة الطعام هذه، فلما طال الخطاب وزاد عن الساعة أبدى أحد الحضور ملله، فردّ عليه كثير من الناس قائلين: نأكل يوميًا مثل هذا الطعام، أما الغذاء

الروحي فنعمنا به اليوم، لذلك نرجو أن تواصل خطابك، فظل عليه السلام يلقي فيهم خطابه هذا لساعتين ونصف تقريبًا. لقد اشتُهر بين الناس عن هذا الخطاب أن المسيح الموعود عليه السلام رجع عن دعوى النبوة، ونشرت جريدة "أخبار عام" الصادرة في لاهور هذا الخبر، فردّ المسيح الموعود عليه وكتب للجريدة: إنني أعلنت عن نبوّتي و لم أرجع عنها قط، إنما أنكر كوني نبيًّا يأتي بشريعة جديدة، لأنني أتبع الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.

وفاة المسيح الموعود عليه السلام

كان عليه السلام يعاني الزحار منذ زمن بعيد، واشتد ذلك عند قدومه إلى لاهور. ولما كان الناس الذين يأتون للقائه يغْشونه ليل نهار، فإنه لم يتَسَنَّ له عليه السلام أن يستريح جيدًا، وبينما كان في هذه الحالة إذ تلقى وحيًا: "الرحيل ثم الرحيل." أي قد حان وقت المغادرة. لقد أثار هذا الوحي قلق الإخوة، إلا أنه في ذلك الوقت نفسه وصل من قاديان خبر وفاة أحد أصدقاء المسيح الموعود، مما جعلهم يظنون أن الوحي المذكور كان يتعلق به، ولكنهم لما سألوا المسيح الموعود عن معناه قال: بل هذا الوحي يتعلق بشخص كبير من جماعتنا، و لم يكن يتعلق بهذا الشخص الذي وصل خبر وفاته. لقد قلقت والدتي من

هذا الوضع وقالت للمسيح الموعود عليه السلام يومًا: فلنذهب إلى قاديان. قال عليه السلام لم يعد الرجوع إلى قاديان الآن بيدنا، ولن نستطيع الذهاب إليها إلا إذا أخذنا الله تعالى إليها. ثم ظل مشغولا في إنجاز أعماله رغم هذا الوحي والمرض. وارتأى في حالة المرض هذه أن يلقي خطابًا من أجل إقامة الصلح بين الهندوس والمسلمين، وبدأ يكتب هذا الخطاب، وسماه "بيغام صلح" أي الدعوة إلى السلام، وقد سبّب هذا العمل في ضعفه وتفاقم مرض الزحار عنده. وفي الليلة التي كان عليه السلام ينوي فيها إكمال هذا الخطاب، تلقى -بالفارسية- الوحي التالي: مكن تكيه بر عمر نابائيدار

أي لا تَثِقْ بالحياة الفانية. فأسمعَ المسيح الموعود هذا الوحي أهلَه فورًا وقال: إنه يتعلق بي. أنهى عليه السلام الخطاب المذكور صباح اليوم التالي وأرسله للطبع. وفي تلك الليلة اضطر إلى قضاء الحاجة، مما أدى إلى إجهاده واشتداد ضعفه، فأيقظ والدتي، فلما استيقظت وجدَتْه في حالة شديدة الضعف، فقلقت بطبيعة الحال قلقًا شديدًا وسألت ماذا حدث لك؟ قال عليه السلام: هو ذاك الذي كنت أقوله لك (أي مرض الموت) وبعد ذلك اضطرّ إلى قضاء الحاجة مرة أخرى، مما تسبّب في اشتداد ضعفه، فقال: أرسلوا إلى المولوي نور الدين

ليحضر (وكما كتبنا فيما سبق كان المولوي طبيبًا حاذقًا)، ثم قال أيقظوا محمودًا (أي مؤلف هذا الكتاب) وحضرة مير (أي حماهُ) أيضا.

كان سريري على بعد يسير من سرير المسيح الموعود، فلما أيقظوني رأيت أن حالته مقلقة جدًّا، حضر الأطباء أيضا وباشروا علاجه، ولكنه لم يتحسّن، فأعطوه بعض الأدوية عن طريق الوريد فنام. فلما استيقظ صباحًا صلى صلاة الفجر. أراد أن يقول شيئًا ولكن صوته كان قد بُحّ كثيرًا فلم يستطع، فطلب القلم والدواة، إلا أنه لم يستطع الكتابة أيضا، وانفلت القلم من يده، فاستلقى قليلا وغشاه النعاس، ثم في العاشرة والنصف تقريبًا فاضت روحه واستقرّت عند المالك الحقيقي الذي بذل عليه السلام حياته كلها لخدمة دينِه، إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت الكلمة الوحيدة التي ردّدها خلال مرضه هذا هي: "الله".

لقد انتشر خبر وفاته في لاهور كلها بسرعة البرق، وبُعثت البرقيات إلى فروع الجماعات في أماكن مختلفة، ثم في مساء اليوم نفسه أو إلى صباح اليوم التالي كانت قد علمت الهند كلها بوفاة هذا الإنسان العظيم.

لا يمكن أن تُنسى أبدًا معاملة النبل والاحترام التي كان يعامل بها معارضيه، ولا يمكن أن تُنسى الفرحة التي أبداها معارضوه عند وفاته، إذ اجتمع خلال نصف ساعة من وفاته طائفة من لاهور أمام البيت الذي وضع فيه جسده المبارك وراحوا ينشدون أغاني الفرحة ليبرهنوا بها على عماهم الروحي، وبعضهم قد أبدوا خبثهم بأبيات شعرية يقرضونها هجوًا للمسيح الموعود عليه السلام .

أما الحب الذي كانت جماعته تكنه له فكان باديًا من تصرف بعض أفراد الجماعة الذين كانوا يستطيعون أن يقبلوا أن حواسهم قد تعطلت، إلا أنه كان صعبًا جدًّا عليهم - رغم رؤيتهم نعشه المبارك بأم أعينهم - أن يقبلوا أن حِبّهم قد فارقهم للأبد. وهناك فارقٌ بين حب حواريي المسيح السابق وحب أتباع المسيح الحالي وهو أن حواريي المسيح السابق اندهشوا لرؤيته حيًّا بعد حادثة الصليب أما أتباع المسيح الحالي فكانوا مندهشين من وفاته. لم يكن أتباع المسيح الأول يستوعبون نجاة المسيح وحياته، أما هؤلاء فلم يكونوا يستوعبون وفاته.

في رثاء ذلك النبي العظيم الذي بُعث خاتمًا للنبيين قبل ثلاثة عشر قرنًا، قال أحد الشعراء بقلب صادق لدى وفاته:

كنت السواد لناظري فعمِي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

واليوم بعد ثلاثة عشر قرنا من الزمان، رأت عين السماء ذلك المشهد نفسه عند وفاة الخادم الصادق له ﷺ، وكانت حالة الذين عرفوا هذا الخادم الصادق تشبه الحالة المذكورة في بيتي الشعر السابقَين، إذ أصبح عيْشهم في هذا العالم شيئًا حقيرًا، وارتبطت جميع أفراحهم بالآخرة، بل هذه هي حالتهم حتى الآن بعد مضي ثمانية أعوام على وفاته عليه السلام، بل أقول، ولو مضى قرن من الزمان فلن يستطيعوا أن ينسوا تلك الأيام التي رأوا فيها نبي الله الحبيب حيًّا بينهم.

لا شك أن الآلام تثير الشجون، فقد شط بي الخيال عند ذكر وفاة المسيح الموعود عليه السلام حتى انتقلت من ذكر وفاته إلى مواضيع أخرى. على أية حال، ذكرت آنفًا أنه عليه السلام توفي في الساعة العاشرة والنصف تقريبًا، وغادرت جماعته بنعشه في قطار المساء بقلوب مثقلة بالهموم والأحزان. وبذلك تحقق الوحي الذي تلقاه ونُشر في الجرائد المختلفة قبل هذا الوقت وهو: جاؤوا بنعشه ملفوفًا في الكفن.

وفورَ وصول القطار إلى "بطاله" نُقل نعشه إلى قاديان، وقبل دفنه هناك انتخبت جماعة قاديان (التي كانت تضم في ذلك الوقت مئات المندوبين الذين توافدوا من فروع الجماعة الكثيرة من مناطق شتى) الحاج نور الدين البهيروي خليفة للمسيح الموعود وبايعوا على يده، وبذلك تحققت نبوءة المسيح الموعود التي كتبها في كتيب الوصية أنه كما أُقيم أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك سيهيئ الله تعالى الأمور لجماعتي أيضا على الشاكلة نفسها. وبعد ذلك صلى عليه خليفته الأول، وتمّ دفنه بعد الظهر. وبذلك تحقق وحي المسيح الموعود: "حادثة في السابع والعشرين تتعلق بنا"، وهذا الوحي تلقاه عليه السلام في ديسمبر من عام ١٩٠٢ ونُشر في جرائد عدّة، فقد توفي عليه السلام في ٢٦ أيار/ مايو ١٩٠٨ وتم دفنه في ٢٧، وكان يرافق هذا الوحيَ وحيٌ آخر يوضّح معناه بشكل أجلى وهو: حان وقت وفاتك.

ولدى وفاة المسيح الموعود عليه السلام اعترفت الجرائد الإنجليزية والهندية كلها - رغم المعارضة - أنه كان شخصًا عظيمًا من هذا العصر.

تمت بالخير

❁❁❁❁❁❁❁

Sīratul-Masīḥil-Ma'ūd 'Alaihis-Salām

The Life of the Promised Messiah
(on whom be peace)

This is a brief biography on the life of the Promised Messiah (on whom be peace) composed by Hadrat Khalīfatul-Masīḥ II (may Allah be pleased with him) in November of 1916. The eminent author has written about the life of the Promised Messiah (on whom be peace), his claim and arguments in support of his claim, and has also expounded his various prophecies.

ISBN 184880449-0
9 781848 804494